www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مجلة المنار

المجلد الثالث والعشرون

الجزء الخامس

إهداء من
شبكة الألوكة
www.alukah.net

تابعوا ...
الجديد والحصري
NEW & EXCLUSIVE

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

WWW.ALUKAH.NET

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المنار

١٣١٥

فيبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

— قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى «ومنارا» كمنار الطريق —

٣٠ رمضان ١٣٤٠ ـ ٥ الجوزاء (ر٣) سنة ١٣٠٠هش ٢٧ مايو سنة ١٩٢٢

فتاوى المنار

﴿ تعريف المنطق وعدم اطراد ماذكروه من غايته ﴾

(س١٩) من صاحب الامضاء في لنجة (الخليج الفارسي)

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة المصلح الوحيد الامام، والاستاذ العلامة الهمام، السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار الاعظم لازال كهفا للانام ومؤيدا للاسلام

وبعد فقد اطلعنا على جوابكم عن اشكال بيت جرير وكان الجواب كجواب حضرة الوالد حرفا بحرف فحصل به اطمئنان الخاطر، ثم إنه عرض لي اشكال ولم أر من تنبه له ولا من أجاب عنه فعرضناه على خليصكم وشاكر احسانكم الوالد فأمرني باستجداء الجواب عن حضرتكم، فالمرجو كشف الغمة لازلتم كما أملتم.

الاشكال هو أن مؤلفي فن المنطق اتفقوا في تعريفه بأنه آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر واتفقوا فيما اعلم أن واضع هذا الفن الحكماء اليونانيون وكونهم قائلين بقدم العالم على قدم، فلا يخلو من امور اما عدم صحة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التعريف، واما ادعاء أن الواضعين لم يراعوها، وإما كونهم محقين في ذلك. على كل أزيلوا الاشكال كما جعلكم الله تعالى كهفا ومنارا

(ج) اننا نجزم بأن ما ذكروه في تعريف المنطق لا يصح باطراد، وأن حكماء اليونان وغيرهم ممن كانوا يحاولون إثبات العلوم العقلية بأنواعها حتى الالهيات بتطبيقها على قواعد المنطق لم يستطيعوا مراعاة أحكامه لا في التصورات ولا في التصديقات، فتحديد الكليات التي يؤلف منها الحد والرسم في التصورات، ومقدمات القياس ولا سيما البرهان الذي عليه مدار صحة النتيجة في التصديقات، كلاهما من أعسر الامور وأبعدها عن المنال. وليس خطأهم محصورا في قولهم بقدم العالم بل هو غير محصور، على انهم لم يكونوا يدعون ان كل مسألة من مسائل فلسفتهم وقضية من قضايا علومهم من اليقينيات الثابتة بالبرهان وأكثر ما كان يفيدهم المنطق في المناظرات، التي تقوم فيها المسلمات مقام اليقينيات.

وبيان هذا بالتفصيل وتوضيحه بالامثلة لا يتم الا في مقال طويل، وحسبك ان تتأمل اليقينيات الست لتعلم مايقع فيها من الغلط والتلبيس

ومثل علم المنطق في هذا علم الشرع فانك ترى الخطأ في تطبيق الاحكام الشرعية على الوقائع العملية كثيرا جدا وترى فهم الناس للاحكام يختلف باختلاف معارفهم وأخلاقهم وعاداتهم والعرف العام عندهم حتى إنهم ليستدلون بالحكم على ضد ما يدل عليه أحيانا كما هو شأنهم في البدع فما من بدعة فشت الا وأهلها يستدلون عليها بأدلة تشبه الشرعية وما هي بشرعية. هذا شأنهم في نصوص الشرع الواضحة ولم تصرفهم عنها قواعد أئمة العلماء الذين يدعون تقليدهم كما بيناه في الفتوى الثانية من فتاوى المجلد الثاني والعشرين

﴿ اطلاق أسماء الله تعالى على بعض خلقه ﴾

(س٢٠) من صاحب الامضاء في بيروت

حضرة صاحب الفضل والفضيلة مولانا الاستاذ السيد محمد رشيد افندي رضا صاحب مجلة المنار الغراء حفظه الله تعالى

سلام الله عليكم وتحياته وبركاته وبعد أرفع لفضيلتكم مايأتي راجيا التكرم بالاجابة عليه وهو:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ألفاظ تستعملها الناس عند مخاطبة العلماء والرؤساء وأصحاب الرتب العالية كالسلاطين والوزراء وغيرهم مثل: العليم. الحكيم . الرحيم. مولانا. صاحب العظمة صاحب السعادة . صاحب العزة . ولي النعم . رب الفضل وغير ذلك فهل يجوز مخاطبة العبيد ومدحهم بهذه الصفات مع انها من صفات الله سبحانه وتعالى أم لا

م . ط . ل

(ج) اسماء الله تعالى منها ماهو خاص به عز وجل كاسم الجلالة (الله) و(الرحمن) و (الرب) بالتعريف وغيرها فلا يجوز وصف غيره بها ، ومنها ما هو غير خاص به كالرحيم والعليم والحليم والحكيم وقد وصف الله تعالى رسوله بقوله (بالمؤمنين رؤف رحيم) وابراهيم بالحليم وكذا ولده اسماعيل اذ قال فيه (فبشرناه بغلام حليم) وولده اسحق بقوله (و بشرناه بغلام عليم) وآتى داود الحكمة وقال (يؤتي الحكمة من يشاء) ومن اوتيها كان حكيما ومن هذه الالفاظ المشتركة في الاستعمال «المولى» قال تعالى في رسوله (ص) (فان الله هو مولاه وجبريل وصالحو المؤمنين) وأما صاحب العظمة وصاحب السعادة وصاحب العزة وولي النعم ورب الفضل فلم يرد في الكتاب ولا في السنة إطلاقها على الله تعالى ولكن ورد (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) وورد (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) وثم آيتان أخريان كهذه ، وفي اسناده لله ولغيره قوله (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) ووصف عرش بلقيس بانه عرش عظيم . وكتب النبي (ص) الى هرقل فوصفه بقوله « عظيم الروم » والى المقوقس «عظيم القبط» والى غيرهما من الملوك والرؤساء بمثل ذلك و يظهر انه لا يجوز وصف غيره تعالى بعدة صفات من الصفات المشتركة اذا كان باجتماعها يعلم من سمعها لا تجتمع لمخلوق بحيث يظن اذا لم يعرف الموصوف بها انها لله تعالى

﴿ لبس العمامة سنة أم لا؟ ﴾

(س٢١) ومنه: هل لبس العمامة سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي ذلك أحاديث صحيحة معتمدة أم لا ؟ وهل من يلبس العمامة يثاب على لبسها؟ وهل العمامة البيضاء والخضراء والسوداء والحمراء كلها سواء أم أيها أفضل

(ج) ثبت في السنة أن النبي (ص) كان يلبس العمامة تارة فوق القلنسوة وهو

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاكثر وتارة بغير قلنسوة وانه كان يلبس القلنسوة تارة بغير عمامة وأنه دخل مكة وعليه عمامة سوداء . وورد انه كان يرخي طرفها وهو الذؤابة بين كتفيه . وانه كان يلتحي بها تحت الحنك كما يفعل المغاربة . ولم يرد الامر بلبسها على سبيل التدين والتشريع ، فمن اعتم كما كان يعتم بنية التشبه به (ص) في لباسه حبا فيه عليه صلوات الله وسلامه كانت هذا النية مما يثاب عليه وهكذا التشبه به (ص) في سائر عاداته التي لم يقم الدليل على شرعها دينا لنا بشرط أن لا يتخذه دينا لانه يكون حينئذ تشريعا وكل مباح يفعل بنية صالحة يثاب عليه المؤمن . وقد سبق هذا البحث في المنار من قبل فلا نطيل به

﴿ مؤلفات ابن تيمية وابن القيم ﴾

(س ٢٢) ومنه: وهل مؤلفات الشيخ أحمد بن تيمية الحراني الحنبلي والشيخ محمد بن أبي بكر الحنبلي المعروف بابن القيم الجوزية صحيحة معتمدة يجوز العمل بها أم لا ؟ أفتونا ماجورين

(ج) : اننا لم نطلع على جميع مؤلفات ابن تيمية وابن القيم ونشهد على ما اطلعنا عليه منها انها من أفضل ما كتب علماء الاسلام هداية وتحقيقا وانطباقا على الكتاب والسنة بل لا نظير لها فيما نعرفه من كتب المسلمين في مجموع مزاياها ، فانها ألفت بعد فشوّ البدع في الامة وتعدد العلوم وكثرة التآليف في المعقول والمنقول وكان أكثر علماء المعقول مقصرين في علم السنة وآثار السلف الصالح ، وأكثر الحفاظ وعلماء الرواية مقصرين في العلوم العقلية ، فبعدت الهوّة بين الفريقين وكثر الخلط والخبط في علوم الشرع حتى جاء أول هذين الشيخين فكان ممن جمع الله لهم بين سعة العلم والتحقيق في جميع العلوم النقلية والعقلية من شرعية وروحية ولغوية وعقلية مع جودة الحفظ وقوة الاستحضار وملكة الاستنباط ولا نعرف له نظيرا في هذا الجمع ، وقد خرّج علماء كثيرين كان الوارث الكامل له منهم ابن القيم ولا سيما في العلوم الشرعية . فكانت كتبهما كتب اصلاح وجمع بين المعقول والمنقول وأقوى رد على جميع ما خالف السنة وسيرة السلف الصالح ، لا نعرف لها نظيرا في ذلك فلو اهتدى بها المسلمون علما وعملا لأماتوا البدع وأحيوا السنن وحسنت حالهم في دينهم ودنياهم . ولدخل الناس في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دين الله أفواجا. ولكنهما غير معصومين من الخطأ فقد أنكرنا في تفسير هذا الجزء عبارة للاول تابع فيها غيره من غير أن يتنبه الى حاجته الى الاستقلال في الاستدلال عليها، وخالفنا الثاني في مسألة اهداء ثواب الاعمال الى الموتى في آخر تفسير سورة الانعام. ولم يؤلف أحد كتابا وافقه كل الناس على كل ما فيه وخير الكتب ماقل فيه الخطأ. على ان كثيراً من المخطئين لغيرهم يكونون هم المخطئون وغيرهم المصيب، وما كل من أصاب بتخطئة غيره في مسئلة أو أكثر يكون أعلم منه مطلقا ولا مثله وانما العصمة لمن عصم الله فيما عصم. ولو شئنا أن نؤلف كتابا حافلا في فضل مؤلفات الشيخين وشدة حاجة الامة اليها في هذا العصر لفعلنا

﴿ أكل الحرام كالربا والقمار وإرثه والعقاب عليه ﴾

(س ٢٣ و ٢٤) — ومنه

رجل جمع مالا من طرق غير مشروعة كربا وقمار ولعب بالبورصة (مايسمونها بالكونتراتات) وغير ذلك هل يجوز الاكل عنده واذا مات وترك أولاداً يعلمون بحال أشغاله فهل يكون المال حلالا للاولاد بالميراث أم لا ؟ واذا مات رجل وعليه ديون ومظالم لاناس ولم تسامحه أربابها في الحياة الدنيا فما حكمه يوم القيامة ؟ وهل يعذب في قبره بسبب ذلك أم عذابه في الآخرة ؟ وإذا سامحه أرباب الديون والمظالم في الدنيا فهل يرفع عنه العذاب ؟ وهل يجوز مسامحته في ذلك يوم القيامة أم لا ؟ تفضلوا بالجواب، ولكم من الله عظيم الاجر والثواب

(ج) — من علم أن مال زيد من الناس حرام كله لم يجز له أن يأكل من طعامه ولا أن يعامله بهذا المال. ولكن قلما يوجد أحد جميع ماله حرام. ومن ترك لأولاده مالاً يعلمون انه مغصوب أو مسروق مثلا ويعرفون أصحابه فالواجب عليهم رده اليهم. وأما ما لا يعرف له مالك والمأخوذ بالعقود الفاسدة شرعا كالربا والمضاربات فيملكونه وان كان في الفقهاء من يقول بأنها لا تفيد الملك للمتعاقدين بها فهذا لا يسري الى من تنتقل اليه منهم بسبب شرعي صحيح كالارث ولا سيما اذا كان مختلطا بغيره غير متميز فعلى هذا لا يأثم ورثة هذا الميت بأخذ ماتركه لهم اذا لم يقتدوا به في أكل الحرام. والله تعالى يأخذ من حسنات من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مات وعليه حقوق للناس أو يحمله من سيئاتهم يوم القيامة الا ان يحلوه منها وتقدم في تفسير هذا الجزء حديث صحيح في ذلك. واذا عفا أصحاب الحقوق عنه فعفو الله تعالى عن حقه بمخالفة شرعه أرجى فهو مرجو غير مقطوع به. ويجوز أن يعذبه عليها في الآخرة ولم ير انها سبب لعذاب القبر

هذا اجواب إجمالي بالمشهور عند العلماء في المسألتين، والاولى تحتمل بحثا طويلا في مسألة المال الحرام المختلط بالحلال نذكر منه على سبيل المثال ماتشتد الحاجة الى معرفته فنقول

إن من علم ان بعض مال زيد حلال و بعضه حرام وتميز عنده أحدهما من الآخر وجب عليه اجتناب ما علم انه حرام كمن علم ان زيداً سرق شاة أو ديكا رومياً ودعاه الى العشاء معه منه فلا يجوز له أن يجيبه كما لايجوز له أن يشتري منه ذلك و يأكله. وأما اذا تعذر تميز الحلال من الحرام كالذي يقرض ماله الحلال في الاصل بالربا فهل يغلب الحرام فيجتنب جميع ما له أو الحلال فيعد الحرام كأنه غير موجود ؟

لهذه المسألة صور كثيرة مختلفة الاحكام. فالحرام أنواع منه الظلم المحض كالغصب والسرقة ومنه المأخوذ بعقود فاسدة مع التراضي كالربا والقمار كما تقدم، والاختلاط اما يكون فيه كل من الحلال والحرام محصوراً أو غير محصور، وتجد أحكام هذه الاقسام مفصلة في كتاب الحلال والحرام من الجزء الثاني من كتاب إحياء علوم الدين لحجة الاسلام الغزالي، وتجد أيضاً في رسالة الحلال والحرام لشيخ الاسلام ابن تيمية أصولا وقواعد تفيدك علما تفصيليا في المسألة. واننا ننقل هنا بعض ما قاله أبو حامد الغزالي في اختلاط الحرام بالحلال غير المحصورين بعد ان قسمه الى عدة أقسام، وهو —

﴿ القسم الثالث ﴾ أن يختلط حرام لايحصر بحلال لايحصر كحكم الاموال في زماننا هذا فالذي يأخذ الاحكام من الصور قد يظن أن نسبة غير المحصور الى غير المحصور كنسبة المحصور الى المحصور وقد حكمنا ثم بالتحريم فلنحكم هنا به. والذي نختاره خلاف ذلك وهو أنه لايحرم بهذا الاختلاط أن يتناول شيء بعينه احتمل أنه حرام وأنه حلال الا أن يقترن بتلك العين علامة تدل على أنه من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحرام فان لم يكن في العين علامة تدل على انه من الحرام فتركه ورع وأخذه حلال لا يفسق به آكله. ومن العلامات أن يأخذه من يد سلطان ظالم الى غير ذلك من العلامات التي سيأتي ذكرها ويدل عليه الاثر والقياس فأما الاثر فما علم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بعده اذ كانت أثمان الخمور ودراهم الربا من أيدي أهل الذمة مختلطة بالاموال وكذا غلول الاموال وكذا غلول الغنيمة[1] ومن الوقت الذي نهى صلى الله عليه وسلم عن الربا اذ قال «أول ربا أضعه ربا العباس» ماترك الناس الربا بأجمعهم كما لم يتركوا شرب الخمور وسائر المعاصي حتى روي ان بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باع الخمر فقال عمر رضي الله عنه: لعن الله فلانا هو أول من سن بيع الخمر اذ لم يكن قدفهم أن تحريم الخمر تحريم لثمنها وقال صلى الله عليه وسلم «ان فلانا يجر في النار عباءة قد غلها» وقتل رجل ففتشوا متاعه فوجدوا فيه خرزات من خرز اليهود لاتساوي درهمين قدغلها وكذلك أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الامراء الظلمة ولم يمتنع أحد منهم عن الشراء والبيع في السوق بسبب نهب المدينة وقد نهبها أصحاب يزيد ثلاثة أيام وكان من يمتنع من تلك الاموال مشاراً اليه في الورع والا كثرون لم يمتنعوا مع الاختلاط وكثرة الاموال المنهوبة في أيام الظلمة. ومن أوجب مالم يوجبه السلف الصالح وزعم أنه تفطن من الشرع مالم يتفطنوا له فهو موسوس مختل العقل، ولو جاز أن يزاد عليهم في أمثال هذا لجاز مخالفتهم في مسائل لا مستند فيها سوى اتفاقهم كقولهم ان الجدة كالام في التحريم وابن الابن كالابن وشعر الخنزير[2] وشحمه كاللحم المذكور تحريمه في القرآن والربا جار فيماعدا الاشياء الستة. وذلك محال فانهم أولى بفهم الشرع من غيرهم

وأما القياس فهو أنه لو فتح هذا الباب لانسد باب جميع التصرفات وخرب العالم اذا الفسق يغلب على الناس ويتساهلون بسببها في شروط الشرع في العقود ويؤدي ذلك لامحالة الى الاختلاط. (فان قيل) فقد نقلتم انه صلى الله عليه

---

(١) الغلول الخيانة فيها (٢) مسألة الشعر فيها خلاف وكذلك مسألة الربا في غير الستة المذكورة في الحديث

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وسلم امتنع من الضب وقال أخشى أن يكون مما مسخه الله[1] وهو في اختلاط غير المحصور (قلنا) يحمل ذلك على الشدة والورع أو نقول الضب شكل غريب ربما يدل على انه من المسخ فهي دلالة في عين المتناول

(فان قيل) هذا معلوم في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة بسبب الربا والسرقة والنهب وغلول الغنيمة وغيرها ولكن كانت هي الاقل بالاضافة الى الحلال فماذا تقول في زماننا وقد صار الحرام أكثر ما في أيدي الناس لفساد المعاملات واهمال شروطها وكثرة الربا وأموال السلاطين الظلمة فمن أخذ مالا لم يشهد عليه علامة معينة في عينه للتحريم فهو حرام أم لا

(فأقول) ليس ذلك حراما وانما الورع تركه وهذا الورع أهم من الورع اذا كان قليلا ولكن الجواب عن هذا ان قول القائل أكثر الاموال حرام في زماننا غلط محض منشأه الغفلة عن الفرق بين الكثير والاكثر فأكثر الناس بل أكثر الفقهاء يظنون ان ما ليس بنادر فهو الاكثر ويتوهمون انهما قسمان متقابلان ليس بينهما ثالث وليس كذلك بل الاقسام ثلاثة قليل وهو النادر وكثير وأكثر (مثاله) ان الخنثى فيما بين الخلق نادر واذا أضيف اليه المريض وجد كثيراً وكذا السفر حتى يقال المرض والسفر من الاعذار العامة والاستحاضة من الاعذار النادرة ومعلوم أن المرض ليس بنادر وليس بالاكثر أيضاً بل هو كثير والفقيه اذا تساهل وقال المرض والسفر غالب وهو عذر عام أراد به انه ليس بنادر فان لم يرد هذا فهو غلط والصحيح والمقيم هو الاكثر والمسافر والمريض كثير والمستحاضة والخنثى نادر. فاذا فهم هذا فنقول قول القائل الحرام أكثر باطل لان مستند هذا القائل اما أن يكون كثرة الظلمة والجندية أو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة أو كثرة الأيدي التي تكررت من أول الاسلام الى زماننا هذا على أصول الاموال الموجودة اليوم

(١) حملت هذه الرواية على الشك منه (ص) قبل ان يعلم امتناع ان يكون الضب من سلالة ما مسخ وقد صح ان رجلا قال يارسول الله القردة والخنازير هي مما مسخ الله؟ فقال «ان الله لم يهلك او يعذب قوما فيجعل لهم نسلا» رواه مسلم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أما المستند الاول فباطل فان الظلم[1] كثير وليس هو بالاكثر فانهم الجندية اذ لا يظلم الا ذو غلبة وشوكة وهم اذا أضيفوا الى كل العالم لم يبلغوا عشر عشيرهم فكل سلطان يجتمع عليه من الجنود مائة ألف مثلا فيملك أقليما يجمع ألف ألف وزيادة ولعل بلدة واحدة من بلاد مملكته يزيد عددهم على جميع عسكره ولو كان عدد السلاطين أكثر من عدد الرعايا لهلك الكل اذ كان يجب على كل واحد من الرعية أن يقوم بعشرة منهم مثلا مع تنعمهم بالمعيشة ولا يتصور ذلك بل كفاية الواحد منهم تجمع من ألف من الرعية وزيادة وكذا القول في السرّاق فان البلدة الكبيرة تشتمل منهم على قدر قليل

وأما المستند الثاني وهو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة فهي أيضا كثيرة وليست بالاكثر اذ أكثر المسلمين يتعاملون بشروط الشرع فعددهؤلاء أكثر والذي يعامل بالربا أو غيره فلو عددت معاملاته وحده لكان عدد الصحيح منها يزيد على الفاسد الا أن يطلب الانسان بوهمه في البلد مخصوصا بالمجانة والخبث وقلة الدين حتى يتصوّر أن يقال معاملاته الفاسدة أكثر ومثل ذلك المخصوص نادر وان كان كثيراً فليس بالاكثر لو كان كل معاملاته فاسدة كيف ولا يخلوهو أيضا عن معاملة صحيحة تساوي الفاسدة أو تزيد عليها، وهذا مقطوع به لمن تأمله، وانما غلب هذا على النفوس لاستكثار النفوس الفساد واستبعادها اياه واستعظامها له وان كان نادراً حتى ربما يظن ان الزنا وشرب الخمر قد شاع كما شاع الحرام فيتخيل انهم الاكثرون وهو خطأ فانهم الاقلون وان كان فيهم كثرة

(المنار) لكلام الغزالي هذا بقية نفيسة فيها مباحث في الحكومة والمصلحة العامة وعمران الكون ونظريات الاشتراكية وأهل الورع والزهد

---

(١) وفي بعض النسخ فان الظالم الخ والمراد جنسه ولذلك قال بعده فانه الجندية وعلى نسختنا يرجع الضمير الى أهل الظلم كما قدره الشارح

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تطهير الاعتقاد

عن أدران الالحاد (*

وقد يعتقدون في بعض فسقة الاحياء ، ويُنادونهم في الشدة والرّخاء ، وهو عاكف على القبائح [١] لا يحضر حيث أمر الله عباده المؤمنين بالحضور هناك ، ولا يحضر جمعة ولا جماعة ، ولا يعود مريضا ولا يشيع جنازة ، ولا يكتسب حلالا ويَضُم الى ذلك دعوى التوكل وعلم الغيب ويجاب اليه ابليس جماعة قد عشش في قلوبهم وباض فيها وفرّخ ، يصدقون بهتانه ، ويعظمون شأنه ، ويجعلون هذا نداً لرب العالمين ومثلا . فيا للعقول أين ذهبت ، ويا للشرائع كيف جهلت ، (ان الذين تدعون من دون الله عبادٌ أمثالكم)

فان قلت : أفيصير هؤلاء الذين يعتقدون في القبور والاولياء والفسقة والخلفاء مشركين كالذين يعتقدون في الاصنام قلت : نعم قد حصل منهم [٢] ما حصل من أولئك وساووهم في ذلك بل زادوا في الاعتقاد والانقياد والاستعباد فلا فرق بينهم

فان قلت : هؤلاء القبوريون يقولون : نحن لا نشرك بالله تعالى ولا نجعل له نداً والالتجاء الى الاولياء ليس شركا . قلت : نعم (يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم لكنّ هذا جهل منهم بمعنى الشرك فان تعظيمهم الاولياء ونحرهم النحائر لهم شرك والله تعالى يقول (فصل لربك وانحر) أي لا لغيره كما يفيده تقديم الظرف ويقول تعالى (فلا تدعوا مع الله أحدا) وقد عرفت بما قدمنا قريبا أنه سمى الرياء شركا فكيف بما ذكرناه ؟ فهذا الذي يفعلونه لأوليائهم هو عين ما فعله المشركون وصاروا به مشركين ولا ينفعهم قولهم : نحن لا نشرك بالله شيئا لان فعلهم أكذب قولهم .

فان قلت : هم جاهلون أنهم مشركون بما يفعلونه . قلت : قد خرّج الفقهاء في كتب الفقه في باب الردة أن من تكلم بكلمة الكفر يكفر وان لم يقصد معناها وهذا دال [٣] على أنهم لا يعرفون حقيقة الاسلام ولا ماهية التوحيد فصاروا حينئذ

*) تابع لما نشر في ص ٢٧٣ من الجزء الرابع (١) وفي نسخة الفضائح ٢) وفي نسخة فيهم ما حصل في (٣) وفي نسخه دل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كفاراً كفراً أصليا ، فالله تعالى فرض على عباده إفراده بالعبادة (أن لا تعبدوا الا الله) وإخلاصها (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) الآية ومن نادى الله ليلا ونهاراً وسراً وجهاراً وخوفا وطمعا . ثم نادى معه غيره فقد أشرك في العبادة فان الدعاء من العبادة وقد سماه الله تعالى عبادة في قوله تعالى (ان الذين يستكبرون عن عبادتي) بعد قوله (ادعوني أستجب لكم)

فان قلت : فاذا كانوا مشركين وجب جهادهم والسلوك فيهم ماسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في المشركين : قلت : الى هذا ذهب طائفة من أئمة العلم فقالوا يجب أولا دعاؤهم الى التوحيد وإبانة أن ما يعتقدونه ينفع ويضر لا يغني عنهم من الله شيئا ، وأنهم أمثالهم ، وأن هذا الاعتقاد منهم فيهم شرك لا يتم الايمان بما جاءت به الرسل الا بتركه والتوبة منه وافراد التوحيد اعتقاداً وعملا لله وحده . وهذا واجب على العلماء (أي) بيان ان ذلك الاعتقاد الذي تفرعت عنه النذور والنحائر والطواف بالقبور شرك محرم ، وأنه عين ما كان يفعله المشركون لاصنامهم . فاذا أبانت العلماء (ذلك) للائمة والملوك وجب على الائمة والملوك بعث دعاة الى إخلاص التوحيد فمن رجع وأقر حقن عليه دمه وماله وذراريه ومن أصر فقد أباح الله منه ما أباح لرسوله صلى الله عليه وسلم من المشركين

(فان قلت) : الاستغاثة قد ثبتت في الاحاديث فانه قد صح أن العباد يوم القيامة يستغيثون بآدم أبي البشر ثم بنوح ثم بابراهيم ثم بموسى ثم بعيسى وينتهون الى محمد صلى الله عليه وسلم بعد اعتذار كل واحد من الانبياء فهذا دليل على أن الاستغاثة بغير الله ليست بمنكر : قلت : هذا تلبيس فان الاستغاثة بالمخلوقين الاحياء فيما يقدرون عليه لا ينكرها أحد وقد قال الله تعالى في قصة موسى مع الاسرائيلي والقبطي (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) وانما الكلام في استغاثة القبوريين وغيرهم بأوليائهم وطلبهم منهم أمورا لا يقدر عليها الا الله تعالى من عافية المريض وغيرها . بل أعجب من هذا أن القبوريين وغيرهم من الاحياء ومن أتباع من يعتقدون فيه يجعلون له حصة من الولد ان عاش ويشترون منه الحمل في بطن أمه ليعيش ويأتون بمنكرات ما بلغ اليها المشركون : ولقد أخبرني بعض من يتولى قبض ما ينذر القبوريون لبعض أهل القبور أنه جاء انسان بدراهم وحلية نسائه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال (هذه لسيده فلان) يريد صاحب القبر — نصف مهر ابنتي لأني زوجتها وكنت ملكت نصفها فلانا : يريد صاحب القبر : [1] وهذا شيء ما بلغ اليه عباد الاصنام وهو داخل تحت قول الله تعالى (ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم) بلا شك ولا ريب — نعم استغاثة العباد يوم القيامة وطلبهم من الانبياء انما يدعون الله تعالى يفصل بين العباد بالحساب حتى يريحهم من هول الموقف، وهذا لا شك في جوازه (أعني) طلب الدعاء الله تعالى من بعض عباده لبعض بل قال صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه لما خرج معتمراً : « لا تنسنا ياأخي . من دعائك » وأمرنا سبحانه أن ندعو للمؤمنين ونستغفر لهم: يعني قوله تعالى (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) وقد قالت أم سليم رضي الله عنها : يا رسول الله خادمك انس ادع الله له وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يطلبون الدعاء منه صلى الله عليه وهو حي وهذا أمر متفق على جوازه والكلام في طلب القبوريين من الاموات أو من الاحياء الذين لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضراً ولا موتا ولا حياة ولا نشوراً أن يشفوا مرضاهم، ويردوا غائبهم، وينفسوا على حبلاهم، وأن يسقوا زرعهم، ويدروا ضروع مواشيهم، ويحفظوها من العين، ونحو ذلك من المطالب التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى — هؤلاء الذين قال الله فيهم (والذين تدعون من دون الله لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون — ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) فكيف يطلب من الجماد أو من حي الجماد خير منه لانه لا تكليف عليه. وهذا يبين ما فعله المشركون الذين حكى الله ذلك عنهم في قوله تعالى (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا) الآية وقال (ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون) فهؤلاء القبوريون والمعتقدون في جهال الاحياء وضلالهم سلكوا مسالك المشركين حذو القذة بالقذة فاعتقدوا فيهم ما لا يجوز أن يعتقد الا في الله، وجعلوا لهم جزءا من المال، وقصدوا قبورهم من ديارهم للزيارة وطافوا حول قبورهم، وقاموا خاضعين عند قبورهم، وهتفوا بهم عند الشدائد ونحروا تقربا اليهم — وهذه

(١) وهذه النذور بالاموال وجعل قسط منها للقبر كما يجعلون شيئا من الزرع يسمونه تلما في بعض الجهات اليمنية وهذا شيء الخ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هي أنواع العبادات التي عرفناك — ولا أدري هل فيهم من يسجد لهم لا أستبعد أن فيهم من يفعل ذلك، بل أخبرني من أثق به أنه رأى من يسجد على عتبة باب مشهد الولي الذي يقصده تعظيما له وعبادة ويقسمون بأسمائهم. بل اذا حلف من عليه حق باسم الله تعالى لم يقبل منه فاذا حلف باسم ولي من أوليائهم قبلوه وصدقوه وهكذا كانت عباد الاصنام (واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذُكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون) وفي الحديث الصحيح (من حلف فليحلف بالله أو ليصمت) وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يحلف باللات فأمره أن يقول : لا إله الا الله — وهذا يدل على أنه ارتد بالحلف بالصنم فأمره أن يجدد اسلامه فانه قد كفر بذلك كما قررنا في سبُل السلام شرح بلوغ المرام . وفي منحة الغفار:

فان قلتَ : لا سواء لان هؤلاء قد قالوا : لا إله الا الله وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها» وقال لاسامة بن زيد « قتلته بعد ماقال لا إله الا الله »؟ وهؤلاء يصلون ويصومون ويزكون ويحجون بخلاف المشركين (قلت) قد قال صلى الله عليه وسلم الا بحقها وحقها افراد الالوهية والعبودية لله تعالى والقبوريون لم يفردوا هذه العبادة فلم تنفعهم كلمة الشهادة فانها لا تنفع الا مع التزام معناها ولم ينفع اليهود قولها لانكارهم بعض الانبياء وكذلك من جعل غير من أرسله الله نبيا لم تنفعه كلمة الشهادة — ألا ترى أن بني حنيفة كانوا يشهدون أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون ولكنهم قالوا : ان مسيلمة نبي فقاتلهم الصحابة وسبوهم فكيف بمن يجعل للولي خاصة الالهية ويناديه للمهمات . وهذا أمير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه حرّق أصحاب عبد الله بن سبأ وكانوا يقولون : لا إله الا الله محمد رسول الله ، ولكن غلوا في علي رضي الله عنه واعتقدوا فيه ما يعتقد القبوريون وأشباههم بل عاقبهم عقوبة لم يعاقب بها أحداً من العصاة فانه حفر لهم الحفائر وأجج لهم نارا والقاهم فيها وقال

اني اذا رأيت أمرا منكرا أججت ناري ودعوت قنبر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال الشاعر في عصره

لترم بي المنية حيث شاءت اذا لم ترم بي في الحفرتين
اذا ما أججوا فيهن نارا رأيت الموت نقدا غير دين

والقصة في فتح الباري وغيره من كتب الحديث والسير. وقد وقع اجماع الامة على أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال لا إله الا الله فكيف من يجعل لله ندا . فان قلت : قد أنكر صلى الله عليه وسلم على أسامة قتله لمن قال لا إله الا الله كما هو معروف في كتب الحديث والسيرة قلت لاشك أن من قال : لا إله إلا الله من الكفار حقن دمه وماله حتى يتبيّن منه مايخالف ماقاله ولذا أنزل الله في قصة (يأيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا) الآية فأمرهم الله تعالى بالتثبت في شأن من قال: كلمة التوحيد فان التزم لمعناها كان له ما للمسلمين وعليه ماعليهم وإن تبين خلافه لم يحقن دمه وماله بمجرد التلفظ. وهكذا كل من أظهر التوحيد وجب الكف عنه الى أن يتبين منه مايخالف ذلك فاذا تبين لم تنفع هذه الكلمة بمجردها ولذلك لم تنفع اليهود ولا نفعت الخوارج مع ما انضم اليها من العبادة التي يحتقر الصحابة عبادتهم الى جنبها بل أمر صلى الله عليه وسلم بقتلهم وقال «لئن أدركتهم لاقتلنهم قتل عاد» وذلك لما خالفوا بعض الشريعة وكانوا شر القتلى تحت أديم السماء كما ثبتت به الاحاديث، فثبت أن مجرد كلمة التوحيد غير مانع من ثبوت شرك من قالها لارتكابه مايخالفها من عبادة غير الله

(فان قلت) القبوريون وغيرهم من الذين يعتقدون في فسقة الناس وجهالهم من الاحياء يقولون نحن لا نعبدهؤلاء، ولا نعبد الا الله وحده، ولا نصلي لهم، ولا نصوم، ولا نحج (قلت) هذا جهل بمعنى العبادة فانها ليست منحصرة فيما ذكرت بل رأسها وأساسها الاعتقاد وقد حصل في قلوبهم ذلك بل يسمونه معتقدا ويصنعون له ماسمعته مما تفرّع عن الاعتقاد من دعائهم وندائهم والتوسل بهم والاستغاثة والاستعانة والحلف والنذر وغير ذلك وقد ذكر العلماء أن من تزيّى بزي الكفار صار كافرا ومن تكلم بكلمة الكفر صار كافرا فكيف بمن بلغ هذه الرتبة اعتقادا وقولا وفعلا

(فان قلت) هذه النذور والنحائر ماحكمها : (قلت) قد علم كل عاقل أن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاموال عزيزة عند أهلها يسعون في جمعها ولو بارتكاب كل معصية، ويقطعون الفيافي من أدنى الارض والاقاصي فلا يبذل أحد من ماله شيئا الا معتقدا لجلب نفع أكثر منه أو دفع ضرر. فالناذر للقبر ما أخرج من ماله الا لذلك وهذا اعتقاد باطل، ولو عرف الناذر بطلان ما أراده ما أخرج درهما فان الاموال عزيزة عند أهلها قال تعالى (ولا يسألكم أموالكم إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم) فالواجب تعريف من أخرج النذر بأنه اضاعة لماله وأنه لا ينفعه ما يخرجه ولا يدفع عنه ضررا وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن النذر لا يأتي بخير وانما يستخرج به من البخيل) ويجب رده اليه، وأما القابض للنذر فانه حرام عليه قبضه لانه أكل لمال الناذر بالباطل لا في مقابلة شيء وقد قال تعالى (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) ولانه تقرير للناذر على شركه وقبح اعتقاده ورضاه بذلك ولا يخفى حكم الراضي بالشرك (ان الله لا يغفر أن يشرك به) الآية فهو مثل حلوان الكاهن ومهر البغي ولانه تدليس على الناذر وايهام له ان الولي ينفعه ويضره فأي تقرير لمنكر أعظم من قبض النذر على الميت ؟ وأي تدليس أعظم وأي رضاء بالمعصية العظمى أبلغ من هذا ؟ وأي تصيير لمنكر معروفا أعجب من هذا وما كانت النذور للاصنام والاوثان الا على هذا الاسلوب يعتقد الناذر جلب النفع في الصنم ودفع الضرر فينذر له جزءا من ماله و بقاسمه في غلات أطيانه ويأتي به الى سدنة الاصنام فيقبضونه منه و يوهمونه حقية عقيدته . وكذلك يأتي ببحيرته فينحرها بباب الصنم. وهذه الافعال هي التي بعث الله الرسل لازالتها ومحائها واتلافها والنهي عنها

فان قلت : ان الناذر قد يدرك النفع ودفع الضرر بسبب اخراجه للنذر و بذله — قلت كذلك الاصنام قد يدرك منها ماهو أبلغ من هذا وهو الخطاب من جوفها والاخبار ببعض ما يكتمه الانسان فان كان هذا دليلا على حقية القبور وصحة الاعتقاد فيها فليكن دليلا على حقيقة الاصنام وهذا هدم للاسلام ، وتشييد لاركان الاصنام . والتحقيق أن لابليس وجنوده من الجن والانس أعظم العناية في إضلال العباد وقد مكن الله ابليس من الدخول في الابدان والوسوسة في الصدور والتقام

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القلب بخرطومه فكذلك يدخل أجواف الاصنام ويلقى الكلام اسماع الاقوام ومثله يصنعه في عند القبور بين فان الله تعالى قد اذن له أن يجلب بخيله ورجله على بني آدم وأن يشاركهم في الاموال والاولاد. وثبت في الاحاديث ان الشيطان يسترق السمع بالامر الذي يحدثه الله فيلقيه الى الكهان وهم الذين يخبرون بالمغيبات ويزيدون فيما يلقيه الشيطان من عند أنفسهم مائة كذبة ويقصد شياطين الجن شياطين الانس من سدنة القبور وغيرهم فيقولون ان الولي فعل وفعل يرغبونهم فيه ويحذرونهم منه وترى العامة ملوك الاقطار وولاة الامصار معززين لذلك ويولون المال لقبض النذور. وقد يتولاها من يحسنون فيه الظن من عالم أو قاض أو مفت أو شيخ صوفي فيتم التدليس لابليس وتقر عينه بهذا التلبيس

(فان قلت) هذا أمر عم البلاد، واجتمعت عليه سكان الاغوار والانجاد، وطبق الارض شرقا وغربا، ويمنا وشاما، وجنوبا وعدنا[1] بحيث لا بلدة من بلاد الاسلام الا وفيها قبور ومشاهد وأحياء يعتقدون فيها ويعظمونها وينذرون لها ويهتفون بأسمائها ويحلفون بها ويطوفون بفناء القبور ويسرجونها ويلقون عليها الاوراد والرياحين ويلبسونها الثياب ويصنعون كل أمر يتقربون عليه من العبادة لها وما في معناها والتعظيم والخضوع والخشوع والتذلل والافتقار اليها. بل هذه مساجد المسلمين غالبها لا يخلو عن قبر أو قريب منه أو مشهد يقصده المصلون في أوقات الصلاة يصنعون فيه ما ذكر أو بعض ما ذكر، ولا يسع عقل عاقل ان هذا منكر يبلغ الى ما ذكرت من الشناعة ويسكت عليه علماء الاسلام الذين ثبتت لهم الوطأة في جميع جهات الدنيا (قلت) ان أردت الانصاف، وتركت متابعة الاسلاف، وعرفت ان الحق ما قام عليه الدليل لا ما اتفق عليه العوالم جيلا بعد جيل، وقبيلا بعد قبيل فاعلم ان هذه الامور التي تدندن حول انكارها، ونسعى في هدم منارها، صادرة عن العامة الذين اسلامهم تقليد الآباء بلا دليل، ومتابعتهم لهم من غير فرق بين دني ومثيل. ينشأ الواحد فيهم فيجد أهل قريته وأصحاب بلدته يلقنونه في الطفولية أن يهتف باسم من يعتقدون فيه، ويراهم ينذرون عليه ويعظمونه ويرحلون به الى محل قبره ويلطخونه بترابه

(١) كان المناسب أن يقول: وجنوبا وشمالا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويجعلونه طائفا على قبره، فينشأ وقد قر في قلبه عظمة ما يعظمونه، وقد صار أعظم الأشياء عنده من يعتقدونه، فنشأ على هذا الصغير، وشاخ عليه الكبير، ولا يسمعون من أحد عليهم من نكير، بل ترى من يتسم بالعلم ويدعي الفضل وينتصب للقضاء والفتيا والتدريس أو الولاية او المعرفة، او الامارة والحكومة معظما لما يعظمونه مكرما لما يكرمونه، قابضا للنذور، آكلا ما ينحر على القبور، فيظن ان هذا دين الاسلام وانه رأس الدين والسنام، ولا يخفى على أحد يتأهل للنظر، ويعرف بارقة من علم الكتاب والسنة والاثر ان سكوت العالم أو العالم على وقوع منكر ليس دليلا على جواز ذلك المنكر

ولنضرب لك مثلا من ذلك وهي هذه المكوس المسماة بالمجابي المعلوم من ضرورة الدين تحريمها قد ملأت الديار والبقاع، وصارت أمرا مأنوسا لا يلج انكارها الى سمع من الاسماع، وقد امتدت أيدي المكاسين في أشرف البقاع في مكة أم القرى يقبضون من القاصدين لاداء فريضة الاسلام، ويلقون في البلد الحرام كل فعل حرام، وسكانها من فضلاء الانام، والعلماء والحكام، ساكتون عن الانكار، معرضون عن ايراده والاصدار. أفيكون السكوت دليلا على أخذها واحرازها؟ هذا لا يقوله من له أدنى ادراك.

بل أضرب لك مثلا آخر هذا حرم الله الذي هو أفضل بقاع الدنيا بالاتفاق واجماع العلماء أحدث فيه بعض ملوك الشراكسة الجهلة الضلال هذه المقامات الاربعة التي فرقت لعبادات العباد، واشتملت على ما لا يحصيه الا الله عز وجل من الفساد، وفرقت عبادات المسلمين وصيرتهم كالملل المختلفة في الدين، بدعة قرت بها عين ابليس اللعين، وصيرت المسلمين ضحكة للشياطين، وقد سكت الناس عليها، ووفد علماء الآفاق والابدال والاقطاب اليها، وشاهدها كل ذي عينين، وسمع بها كل ذي أذنين، أفهذا السكوت دليل على جوازها؟ هذا لا يقوله من له إلمام بشيء من المعارف كذلك سكوتهم على هذه الاشياء الصادرة من القبوريين

(فان قلت) يلزم من هذا ان الامة قد اجتمعت على ضلالة حيث سكتت عن انكارها لاعظم جهالة (قلت) الاجماع حقيقته اتفاق مجتهدي أمة محمد صلى الله عليه وسلم على أمر بعد عصره وفقهاء المذاهب الاربعة يحيلون

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاجتهاد من بعد الاربعة وان كان هذا قولا باطلا، وكلاما لا يقوله الا من كان للحقائق جاهلا، فعلى زعمهم لا اجماع أبدا من بعد الائمة الاربعة فلا يرد السؤال، فان هذا الابتداع والفتنة بالقبور لم يكن على عهد أئمة المذاهب الاربعة وعلى ما نحققه فالاجماع وقوعه محال فان الامة المحمدية قد ملات الآفاق وصارت في كل أرض وتحت كل نجم فعلماؤها المحققون لا ينحصرون ولا يتم لاحد معرفة أحوالهم، فمن ادعى الاجماع بعد انتشار الدين، وكثرة علماء المسلمين، فانها دعوى كاذبة كما قاله أئمة التحقيق

ثم لو فرض انهم علموا بالمنكر وما أنكروه بل سكتوا عن انكاره لما دل سكوتهم على جوازه فانه قد علم من قواعد الشريعة ان وظائف الانكار ثلاثة (أولها) الانكار باليد وذلك بتغيير المنكر وازالته (ثانيها) الانكار باللسان مع عدم استطاعة التغيير (ثالثها) الانكار بالقلب عند عدم استطاعة التغيير باليد واللسان، فان انتفى أحدهما لم ينتف الآخر. ومثاله مرور فرد من افراد علماء الدين بأحد المكاسين وهو يأخذ أموال المظلومين فهذا الفرد من علماء الدين لا يستطيع التغيير على هذا الذي يأخذ أموال المساكين باليد ولا باللسان، لانه انما يكون سخرة لاهل العصيان فانتفى شرط الانكار بالوظيفتين ولم يبق الا الانكار بالقلب الذي هو أضعف الايمان. فيجب على من رأى ذلك العالم ساكتا على الانكار مع مشاهدة ما يأخذه ذلك الجبار ان يعتقد أنه تعذر عليه الانكار باليد واللسان وانه قد أنكر بقلبه، فان حسن الظن بالمسلمين أهل الدين واجب والتأويل لهم ما أمكن ضربة لازب فالداخلون الى الحرم الشريف والمشاهدون لتلك الابنية الشيطانية التي فرقت كلمة الدين، وشتتت صلوات المسلمين، معذورون عن الانكار الا بالقلب كالمارين على المكاسين وعلى القبوريين

ومن هنا يعلم اختلال ما استمر عند أئمة الاستدلال من قولهم في بعض ما يستدلون عليه انه وقع ولم ينكر فكان اجماعا. ووجه اختلاله ان قولهم ولم ينكر رجم بالغيب فانه قد يكون أنكرته قلوب كثيرة تعذر عليها الانكار باليد واللسان وأنت تشاهد في زمانك انه كم من أمر يقع لا تنكره بلسانك ولا بيدك وأنت منكر له بقلبك ويقول

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الجاهل اذا رآك تشاهده سكت فلان عن الانكار بقوله اما لائما أو متأسيا بسكوته فالسكوت لا يستدل به عارف وكذا يعلم اختلال قولهم في الاستدلال: فعل فلان كذا وسكت الباقون فكان اجماعا — مختل من جهتين (الاولى) دعوى ان سكوت الباقين تقرير لفعل فلان لما عرفت من عدم دلالة السكوت على التقرير (الثانية) قولهم فكان اجماعا فان الاجماع اتفاق أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم والساكت لا ينسب اليه وفاق ولا خلاف حتى يعرب عنه لسانه . قال بعض الملوك وقد أثنى الحاضرون على شخص من عماله وفيهم رجل ساكت مالك لا تقول كما يقولون فقال ان تكلمت خالفتهم فما كل سكوت رضى فان هذه منكرات أسسها من بيده السيف والسنان، ودماء العباد وأموالهم تحت لسانه وقلمه، واعراضهم تحت قوله وكلمه، فكيف يقوى فرد من الافراد، على دفعه عما أراد، فان هذه القباب والمشاهد التي صارت أعظم ذريعة الى الشرك والالحاد وأكبر وسيلة الى هدم الاسلام وخراب بنيانه غالب[1] بل كل من يعمرها هم الملوك والسلاطين والرؤساء والولاة اما على قريب لهم أو على من يحسنون الظن فيه من فاضل أو عالم أو صوفي أو فقير أو شيخ أو كبير ويزوره الناس الذين يعرفونه زيارة الاموات من دون توسل به ولا هتف باسمه بل يدعون له ويستغفرون حتى ينقرض من يعرفه أو أكثرهم فيأتي من بعدهم فيجد قبراً قد شيد عليه البناء وسرجت عليه الشموع وفرش بالفراش الفاخر وأرخيت عليه الستور، وألقيت عليه الاوراد والزهور، فيعتقدان ذلك لنفع أو لدفع ضر ويأتيه السدنة يكذبون على الميت بانه فعل وفعل وأنزل بفلان الضرر وبفلان النفع حتى يغرسوا في جبلته كل باطل ولهذا الامر ثبت في الاحاديث النبوية اللعن على من سرج على القبور وكتب عليها وبنى عليها وأحاديث ذلك واسعة معروفة فان ذلك في نفسه منهي عنه ثم هو ذريعة الى مفسدة عظيمة

(فان قلت) هذ قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد عمرت عليه قبة

---

(١) قوله غالب خبر قوله : فان هذه القباب اي ان اكثر من يعمر هذه القباب بل كل من يعمرها هم الملوك والامراء . والاضراب مبالغة وان الذين اقتدوا بهم كثروا ايضا ولعله كذلك في بلاد المؤلف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عظيمة أنفقت فيها الاموال (قلت) هذا جهل عظيم بحقيقة الحال فان هذه القبة ليس بناؤها منه صلى الله عليه وسلم ولا من أصحابه ولا من تابعيهم وتبع التابعين ولا من علماء أمته وأئمة ملته بل هذه القبة المعمولة على قبره صلى الله عليه وسلم من ابنية بعض ملوك مصر المتأخرين وهو قلاوون الصالحي المعروف بالملك المنصور في سنة ثمان وسبعين وستمائة ذكره في (تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة) فهذه أمور دولية لا دليلية يتبع فيها الآخر الاول

وهذا آخر ما أردناه مما أوردناه لما عمت البلوى واتبعت الاهواء وأعرض العلماء عن النكير الذي يجب عليهم، ومالوا الى ما مالت العامة اليه وصار المنكر معروفا والمعروف منكراً، ولم نجد من الاعيان ناهيا عن ذلك ولا زاجراً

(فان قلت) قد يتفق للاحياء وللاموات اتصال جماعة بهم يفعلون خوارق من الافعال يتسمون بالمجاذيب فما حكم ما يأتون من تلك الامور فانها مما جبلت القلوب الى[1] الاعتقاد بها (قلت) أما المتسمون بالمجاذيب الذين يلوكون لفظ الجلالة بأفواههم ويقولونها بألسنتهم ويخرجونها عن لفظها العربي فهم من أجناد ابليس اللعين ومن أعظم حمر[2] الكون الذين البستهم[3] حلل التلبيس والتزيين، لما أن اطلاق الجلالة مفرداً عن إخبار عنها بقولهم الله الله ليس بكلام ولا توحيد وانما هو تلاعب بهذا اللفظ الشريف باخراجه عن لفظه العربي ثم اخلاؤها عن معنى من المعاني ولو أن رجلا عظيما صالحا يسمى بزيد وصار جماعة يقولون زيد زيد لعد ذلك استهزاء واهانة وسخرية، ولاسيما اذا زادوا الى ذلك تحريف اللفظ ثم انظر هل أتى في لفظة من الكتاب والسنة ذكر الجلالة بانفرادها وتكريرها اذ الذي فيهما هو طلب الذكر والتوحيد والتسبيح والتهليل وهذه أذكار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأدعيته وأدعية آله وأصحابه خالية عن هذا الشهيق والنهيق والنعيق الذي اعتاده من هو عن الله وعن هدي رسوله صلى الله عليه وسلم وسمته وديله في مكان سحيق، ثم قد يضيفون

(١) الحمر بوزن كتب جمع حمار (٢) اما ان يكون الاصل جلبت القلوب بتقديم اللام على الباء، واما يكون جلبت القلوب على الاعتقاد (٣) وفي نسخة ألبستهم واصل الأصل البستهم السنتهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الى الجلالة الشريفة أسماء جماعة من الموتى مثل ابن علوان وأحمد بن الحسين وعبد القادر والعيدروس بل قد انتهى الحال الى أنهم يفرون الى أهل القبور من الظلم والجراءة كعلي رومان وعلى الاحمر وأشباههما وقد صان الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم وأهل الكساء وأعيان الصحابة عن ادخالهم في أفواه هؤلاء الجهلة الضلال فيجمعون أنواعا من الجهل والشرك والكفر (فان قلت) إنه قد يتفق من هؤلاء الذين يلوكون الجلالة ويضيفون اليها أهل الخلاعة والبطالة خوارق عادات وأمور تظن كرامات كطعن أنفسهم وحملهم لمثل الحنش والحية والعقرب وأكلهم النار ومسهم اياها بالايدي وتقلبهم فيها بالاجسام (قلت) هذه أحوال شيطانية وانك لملبوس [1] عليك ان ظننتها كرامات للاموات أو حسنات للاحياء لما هتف هذا الضال بأسمائهم جعلهم أندادا وشركاء له في الخلق والامر فهؤلاء الموتى أنت تفرض أنهم أولياء الله تعالى فهل يرضى ولي الله أن يجعله المجذوب أو السالك شريكا له تعالى وندا ؟ ان زعمت ذلك فقد جئت شيئا إدًّا، وصيرت هؤلاء الاموات مشركين وأخرجتهم — وحاشاهم عن ذلك — عن دائرة الاسلام والدين حيث جعلتهم بجعلهم أنداد الله راضين فرحين وزعمت أن هذه كرامات لهؤلاء المجاذيب الضلال المشركين التابعين لكل باطل المنغمسين بين بحار الرذائل، الذين لا يسجدون لله سجدة، ولا يذكرون الله وحده، فان زعمت هذا فقد أثبت الكرامات للمشركين الكافرين المجانين وهدمت بذلك ضوابط الاسلام وقواعد الدين المبين والشرع المتين .

واذا عرفت بطلان هذين الامرين علمت أن هذه أحوال وأفعال طاغوتية ، وأعمال إبليسية ، يفعلها الشياطين لاخوانهم من هؤلاء الضالين معاونة من الفريقين ، وقد ثبت في الاحاديث ان الشياطين والجان يتشكلون بأشكال الحية والثعبان وهذا أمر مقطوع بوقوعه فهم الثعابين التي يشاهدها في أيدي المجاذيب الانسان وقد يكون ذلك من باب السحر وهو أنواع وتعلمه ليس بالعسير بل بابه الاعظم الكفر بالله واهانة ما عظمه الله من جعل مصحف في

(١) للبيبي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كثيف ونحوه، فلا يفتر من يشاهد ما يعظم في عينيه من أحوال المجاذيب من الامور التي يراها خوارق فان للسحر تأثيرا عظيما في الافعال، وهكذا الذين يقلبون الاعيان بالاسحار وغيرها وقد ملأ سحرة فرعون الوادي بالثعابين والحيات (١) حتى أوجس في نفسه خيفة موسى عليه السلام وقد (٢) وصفه الله بأنه سحر عظيم، والسحر يفعل أعظم من هذا فانه قد ذكر ابن بطوطة وغيره أنه شاهد في بلاد الهند قوما وقد لهم النار العظيمة فيلبسون (٣) الثياب الرقيقة (٤) ويخوضون في تلك النار ويخرجون وثيابهم كأنها لم يمسها شيء بل ذكر أنه رأى انسانا عند بعض ملوك الهند أتى بولدين معه ثم قطعهما عضوا عضوا ثم رمى بكل عضو الى جهة فرقا حتى لم ير أحد شيئا من تلك الاعضاء ثم صاح وبكى فلم يشعر الحاضرون الا وقد نزل كل عضو على انفراده وانضم الى الاخر حتى قام كل واحد منهما على عادته حيا سويا ذكر هذا في حلته وهي رحلة بسيطة وقد اختصرت — طالعتها بمكة عام ست وثلاثين ومائة والف أملاها علينا العلامة مفتي الحنفية في المدينة السيد محمد بن أسعد رحمه الله

وفي الاغاني لابي الفرج الاصفهاني بسنده أن ساحرا كان عند الوليد بن عقبة فعمل بدخل في جوف بقرة ويخرج فرآه جندب رضي الله عنه فذهب الى بيته فاشتمل على سيفه فلما دخل الساحر في البقرة قال جندب أتأتون السحر وأنتم تبصرون ثم ضرب وسط البقرة فقطعها وقطع الساحر معها فانذعر الناس فحبسه الوليد وكتب بذلك الى عثمان رضي الله عنه وكان على السجن رجل نصراني فلما رأى جندبا يقوم الليل ويصبح صائما قال النصراني والله ان قوما هذا شرهم لقوم صدق فوكل بالسجن فلما ولاه دخل الكوفة فسأل عن أفضل أهلها فقالوا الاشعث بن قيس فاستضافه أي أبا محمد يعني الاشعث ينام الليل ويصبح فيدعو بغدائه، فخرج من عنده فسأل أي أهل الكوفة أفضل؟ فقالوا جرير بن عبد الله فوجده ينام الليل ثم يصبح فيدعو بغدائه فاستقبل القبلة فقال ربي رب جندب وديني دين جندب ثم وأخرجها البيهقي في السنن الكبرى بمغايرة في القصة فذكر بسنده الى الاسود الوليد بن عقبة كان بالعراق يلعب بين يديه ساحر فكان يضرب رأس الرجل

(١) والجنان (٢) وحتى وصفه الخ (٣) ويلبسون (٤) الرفيعة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثم يصيح به فيقوم صارخا فيرد اليه رأسه فقال الناس سبحان الله يحي (الموت) ورآه رجل من صالحي المهاجرين فلما كان من الغد اشتمل على سيفه فذهب [1] يلعب لعبه ذلك فاخترط الرجل سيفه فضرب عنقه وقال ان كان صادقا فليحي نفسه فأمر به الوليد دينارا [2] صاحب السجن فسجنه انتهى بل أعجب من هذا ما أخرجه الحافظ البيهقي باسناده في قصة طويلة وفيها أن امرأة تعلمت السحر من الملكين ببابل هاروت وماروت وأنها أخذت قمحا فقالت له بعد ان ألقته في الارض اطلع فطلع فقالت: أحقل فاحقل ثم تركته ثم قالت أيبس فيبس ثم قالت له اطحن فأطحن ثم قالت له اختبز فاختبز. وكانت لا تريد شيئا الا كان. والاحوال الشيطانية لا تنحصر وكفى بما يأتي به الدجال والميعاد. اتباع الكتاب والسنة ومخالفتهما انتهى ما أوردناه والحمد لله رب العالمين أولا وآخرا

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ تذييل للمنار وتقريظه للرسالة ﴾

إن هذه الاعمال الغريبة التي تسمى بالسحر حيل صناعية تتلقى بالتعليم والتمرين، وليست من خوارق العادات حقيقة بل صورة، فهي كما قال تعالى في سحرة فرعون (سحروا أعين الناس) بأن أروها أشياء على غير حقيقتها، لتخييل الحبال والعصي متحركة بارادتها (يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى) والخوارق لا تكون صناعة تعليمية. وانما يكثر هذا السحر في البلاد التي يغلب على أهلها الجهل بعلوم الكون وسنن الله في الخلق، كبلاد الزنوج في أفريقية والشعوب المشابهة لها في الغباوة والجهل، وتقل في غيرها أو تنعدم وما يبقى منها يكون حرفة لبعض المشعوذين يعرضون ما يتقنونه من أعمالها على الناس فيرضخون لهم بقليل من النقد، فمنهم من يلحس حديدة محماة بالنار حتى تبرد وذلك أنه يتمرن على إدنائها من لسانه واصابتها بلعابه من غير أن تمسّ اللسان ولكنهم يفعلون ذلك بسرعة تخيل للرائي أن اللسان

(١) وفي نسخة فذهب الساحر يلعب الخ (٢) دمار السجن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يمسها ، ومنه اقتحام النار كما بيناه في بعض فتاوى المجلد الثاني والعشرين، وأكثر هذه الشعوذة صناعية يدوية

ومن فنون السحر ما يستعان عليه بعلوم خواص الاشياء . ولو ذهب الآن بعض علماء الكيمياء وغيرها كخواص الكهرباء الى بعض تلك البلاد التي تجهل هذه العلوم جهلا مطلقا لفتنوهم واستعبدوهم — ولاسيما اذا كان معهم من الآلات والادوات ما يمكنهم من أعمالها المعروفة — المشهور منها كالتلغراف والتليفون اللاسلكي وغير المشهور . وقد صار جميع العارفين بأمور الكون يعلمون أن جميع هذه الاعمال الغريبة صناعة لها أسباب يعرفون بعضها ويقيسون عليها ما لم يعرفوا على ما عرفوا

هذا وإن الاسلام — ولله الحمد — مبني على الحقائق ورفض الخرافات والخزعبلات التي عبر عنها بالجبت وبالسحر ، وابطال كل ما يطغي الناس بافساد اخلاقهم وآدابهم وحملهم على الاعمال المنكرة وهو ما عبر عنه بالطاغوت. فالمؤمن التقي هو السليم العقل والاخلاق القائم بالاعمال الصالحة التي يصلح به حاله وحال الناس الذين يعيشون معه على منهاج الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الامة الصالح، وكل ما زاد على ذلك باسم الدين فهو بدعة ضلالة اما فسق واما كفر

وأما أمور الدنيا المحضة فقد قال لنا الرسول عليه الصلاة والسلام « أنتم أعلم بأمر دنياكم » فلا ينكر العارف بالاسلام على أحد من افراد المسلمين ولا من جماعاتهم ما استحدثوا فيها من طعام وشراب ولباس وآنية وماعون وأثاث ومراكب برية وبحرية وهوائية وآلات صناعة وأعمال زراعة وطرق تجارة وأسلحة حرب وغير ذلك مع المحافظة على حدود الشريعة في الحلال والحرام وحفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال

وقد ابتلي الاسلام بجهال لبسوه مقلوبا كالفرو، فأكثروا من الابتداع في الدين، وشوهوه بالخرافات، وزادوا فيه ما لم يرد في سنة ولا كتاب ولا عرفه الرسول ولا أصحابه ولا غيرهم من أئمة السلف حتى صار البله والسخف والخروج عن المعقول والوساخة والخرافات والبدع من علامات العالمين التي لا تنكر ، وما أباحه الله وفوض الامر فيه رسوله للناس فقد أنكروه وضللوا أهله باسم الدين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولله در مؤلف هذه الرسالة الامام المحقق فقد أتى فيها بما لم يأت به من ألفوا المختصرات والمطولات في موضوعها وهو كشف شبهة الذين يزعمون ان علماء المسلمين قد أجازوا ضلالات القبوريين منذ قرون فصار ذلك اجماعا عليها ، فبين انه لا يمكن الحكم بأنهم سكتوا جميعاً فكم منهم من أنكر ذلك قولا وكتابة، ولئن سكتوا فلا حجة في سكوتهم ولا سيما مع العلم بأن هنالك منكرات أخرى لا يقول هؤلاء القبوريون ولا غيرهم بجوازها وهي مسكوت عنها، اما للعجز عن انكارها ، واما للجهل والتهاون في أمر الدين لان المعروف صار منكر، والمنكر صار معروفا كما ورد في اعلام النبوة. وهذه الحجة أظهر في زماننا و بلادنا منها في غيرهما من زمان ومكان، فان العلماء الذين لا ينكرون ما وردت الاحاديث الصحيحة بحظره من تشييد القبور وكسوتها، وايقاد السرج والشموع عليها وعبادتها بدعاء أصحابها والطواف بها والنذر لهم — لا ينكرون أيضاً ما فشا في البلاد من البدع والفواحش والمنكرات التي لا خلاف في شيء منها، بل لا ينكرون مايرون، ويسمعون من الكفر البواح، والالحاد الصراح ، بل يعظمون من يعتقدون كفرهم وإلحادهم ، ويعلمون أولادهم القوانين التي يعتقدون أنها مشتملة على ماهو محرم بالاجماع ، وان استحلاله ردّة ، وخروج من الملة ، لاجل أن يحكموا بها وهو حكم بغير ما أنزل الله ، وهم يتلون في ذلك آيات الله ، فهل يحتج بسكوت أمثال هؤلاء قالوا أو كثروا ولا حجة في سكوت المجتهدين وهم ليسوا منهم ، ولا في أقوالهم على القول المشهور في الاصول الا اذا أمكن حصرهم و إجماعهم على حكم من الاحكام لا يشذ منهم عن القول به أحد ، على ما في حجيته اذا أمكن وقوعه والعلم به من النظر ؟؟

اللهم انا نبرأ اليك من كل قول وعمل واقرار في أمر ما من أمور الدين لم يكن مما أنزلته على رسولك محمد خاتم النبيين والمرسلين، ومن كل فهم وعمل فيه مخالف لسلف الامة الصالحين ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الخلافة الاسلامية

ألفه باللغة الاوردية
أحد زعماء النهضة الهندية
مولانا ابو الكلام
محيي الدين آزاد
صاحب مجلة الهلال الهندية

وترجمه بالعربية
أحد تلاميذ دار الدعوة والارشاد
الشيخ عبد الرزاق
المليح آبادي
محرر جريدة (بيغام) الهندية

٥

فصل

(الجماعة والتزام الجماعة)

وفي هذا الحديث الذي نحن بصدده أمر مهم يستحق أن نتأمل فيه ، وهو أن الشريعة نصت على أن الحياة الاسلامية إنما هي في التزام الجماعة وطاعة الخليفة، والحياة الجاهلية في الانحراف عنها — ولقد اوضح القرآن أن الجاهلية هي التفرق والتشتت وانتشار الكلمة وعدم الاجتماع على مركز واحد، وأن الحياة الاسلامية هي الحياة الاجتماعية والاتحاد والائتلاف بين الامة واجتماع الآحاد المنتشرة — قال الله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) الخ

فالجاهلية الفرقة ، والاسلام الجماعة ، ولذا أكد النبي عليه الصلاة والسلام مرة بعد مرة أن من يحيد عن الجماعة وينزع يده عن طاعة الخليفة ، يكاد يخرج من الاسلام ، وتكون ميتته على الجاهلية لا على الاسلام وان صلى وصام وزعم أنه مسلم

وها هي ذي بعض الاحاديث الصحيحة المشهورة في هذا الباب :

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال (ص) «من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن أطاع اميري فقد أطاعني ، ومن عصى اميري فقد عصاني » رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة وفي رواية أخرى لمسلم « من أطاع الامير » أي اطاع امام المسلمين

وقال « اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة » (البخاري ومسلم عن أنس)

يظهر أن هذه الجملة كثيرا ماكان يكررها صلى الله عليه وسلم ولا سيما في خطبه ولذا تجدها مروية بألفاظ مختلفة ونسبت الى مواقع مختلفة، وقد قال يوم الحج الاكبر في حجة الوداع التي كانت مشهدا عظيما للمسلمين ، والتي لم يعش (ص) بعدها الا بضعة أشهر « ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله ، اسمعوا وأطيعوا » (مسلم)

وقال « من خرج من الطاعة ، وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية » وفي لفظ « فانه ليس احد من الناس خرج من السلطان شبرا فمات عليه الا مات ميتة جاهلية» (متفق عليه) ومعلوم ان الجاهلية كانت قبل الاسلام ، فمعنى الحديث انه مات على ضلالة عرب الجاهلية — والعياذ بالله ! وفي رواية عبد الله بن عمر (رض) « من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولاحجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية »

وقال « من فارق الجماعة شبرا فكأنما خلع ربقة الاسلام من عنقه » (الترمذي) وفي رواية «دخل النار» (اخرجها الحاكم على شرط الصحيحين)

وقال « كانت بنو اسرائيل تسوسهم الانبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وانه لانبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون — قالوا فما تأمرنا؟ قال — فو ببيعة الاول فالاول ، ثم اعطوهم حقهم ، فان الله يسألهم عما استرعاهم »(متفق عليه

وغير هذا كثير من الاحاديث التي لاتحصى ، وشواهد الاجماع ونصوص كتب العقائد والفقه لسنا في حاجة اليها بعد الحديث

فصل

(في شروط الامامة والخلافة)

اذا استقصيت نصوص الكتاب والسنة واجماع الامة ، تعلم ان الشريعة الاسلامية اعتبرت الامامة والخلافة على شكلين متضادين ، واحد منهما اصلي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومطلوب ، والثاني اضطراري

وبيان هـذا ان الشكل الاصلي المطلوب هو انتخاب الامة خليفتها بحيث تجتمع آحادها واهل الحل والعقد والرأي والبصيرة منها، فيتباحثون ويتشاورون طبقاً للآية (وامرهم شورى بينهم) ثم ينتخبون الخليفة مراعين فيه شروط الخلافة الشرعية ، ومقاصدها الاساسيـة ، غير ناظرين الى الوجاهة الذاتيـة والجنسية النسبية [١] اذ الشريعة تعتبر في الانتخاب شورى الامة ، لاجنسية الخليفة وعشيرته ونسبه — وقد تأسست الخلافة الراشدة على هذا الاساس الجمهوري ، فالخليفـة الاول انتخبته الامة مباشرة ، والخليفة الثـاني انتخبه الخليفة الاول [٢] ورضي به اهل الحل والعقد من الامة ، والخليفـة الثالث انتخبته جماعة الشورى ، والرابع بايعته الجماعة بأسرها — فانتخـاب هؤلاء الخلفاء الاربعة كان انتخابا شرعيا وجمهوريا ، ولم تراع فيه الجنسية والقبيلة والعهد البتة ولو روعي فيه شيء من هذا القبيل لبقيت الخلافة في بيت الخليفة الاول ولم تخرج منه الى آخر الدهر . ولـكن لم يكن شيء من ذلك ، بل لم يدع الخليفة الثاني مجالا للامة في ان تنتخب ابنه خليفة لانه منع وأوصى بذلك وصية حين احتضاره — رضى الله عنه وعنهم اجمعين

فاذا كان الامر على هذا النهج الجمهوري واستطاعت الامة انتخاب خليفتها فقد شرطت الشريعة فيه شروطا تراعى عند الانتخاب

واما الشكل الثاني وهو اذا تغلب متغلب بقوته وعصبيته على الخلافة ولم يترك مجالا للانتخاب فحينئـذ ما ذا يجب على الامة اذا كان المتغلب غير أهل لها وظالما وفاقدا لشروطها ؟ فهل يجب عليها ان تخرج عليه وتقاتله ؟ ام يجب عليها ان تطيعه وتنقاد له وتؤدي اليه الزكاة وتقيم وراءه الجمعة والجماعة وتعمل تحت سيطرته سائر الاعمال التي لا تتم الا بوجود الخليفة والامام ؟

لما كانت هذه المسئلة اهم المسائل الحيوية ، وأساس حياة الامة الاجتماعي

(١) أي لم يراع فيه الاشرف نسبا من بيوت قريش التي حصر الرسول الخلافة في جملتها بل يرجحون كفاءته من أي بيت منهم كان ، وسيمالله بعد بأنها لو جعلت وراثية في بيت معين لبقيت في بيت الخليفة الاول كما هو الشان في بيوت الملوك الى عهدنا هذا وضرب له المثل بالخلفاء الراشدين (٢) يعني أنه رشحه والامة رضيته فبايعته

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لم تكن الشريعة لتغفل عنها وتترك الامة بلا هداية ولا بصيرة فيها ولذا تجدها قد اهتمت بها أشد الاهتمام وبينتها بياناً وافياً بعبارات واضحة ونصوص صريحة ومن أجل ذا لم يتردد الصحابة رضوان الله عليهم في تعيين خطتهم لما قامت الخلافة الاموية الاستبدادية بعد انقراض الخلافة الراشدة ، فعاملوها معاملة واحدة كأنهم كانوا عينوها من قبل ، وصارت تلك المعاملة سنة لمن بعدهم ، وأجمعت الامة على استحسانها ، واتخذتها خطة اجتماعية لها . نعم قد قد اختلف بعض الفرق الاسلامية في الشكل الاول للخلافة، ولكن لم يختلف أحد منهم في الشكل الثاني لا قولا ولا عملا [١]

وقد شرطت الشريعة في الشكل الاول الجمهوري شروطا بالغة في الكمال منتهاه ، وأوجبت على الامة أن تنظر في الخليفة كل الامور التي تلزم لهذا المنصب الرفيع، ولهذه المسئولية العظيمة. وقد اشتهرت شروط الخلافة هذه اشتهاراً عظيما حتى انك تجدها في عامة كتب العقائد والفقه التي يتداولها طلبة العلم في المدارس الدينية — فترى فيها «ويشترط أن يكون (الخليفة) من أهل الولاية المطلقة الكاملة بأن يكون مسلماً ، حراً ، ذكراً ، عاقلا ، بالغاً ، سائساً بقوة رأيه ورويته ومعونة بأسه وشوكته ، قادراً بعلمه وعدالته وكفايته وشجاعته على تنفيذ الاحكام ، وحفظ حدود الاسلام ، وانصاف المظلوم من الظالم، عند حدوث المظالم » الخ — راجع شرح المواقف والنسفي والتمهيد وشرح الفقه الاكبر للقارئ وشرح المقاصد — ومن كتب المحدثين شرح عقيدة ابن عقيل وفتح الباري وشرح منظومة الآداب وخلاصة ابن مفلح ونيل الاوطار ووبل المرام للشوكاني والاقناع وشرحه وغيرها من الكتب ،

وأما شرط القرشية ففيه اختلاف [٢] وقد كان يقول به أكثر العلماء

(١) اطلاق النفي خطأ فالخلاف وقع قولا وعملا ذهب كثيرون الى مقاومة السلطة الجائرة وغير الشرعية، وكثيرون الى طاعتها، وسيأتي تحقيقه. وما زالوا يستمدون لاسقاط خلافة الامويين حتى أسقطوها وهي في ريق شبابها

(٢) يظهر ان للكاتب — عفا الله عنه — ميلا الى اضعاف هذا الشرط الذي أجمع عليه أهل الصدر الاول قبل ظهور الشقاق في الامة وهم أهل الاجماع الصحيح دون غيرهم والاحاديث الصحيحة فيه كثيرة متفق عليها وقد ذكر حديثا واحدا منها لم يقرنه بذكر من خرجه من رواة الصحيح ، وقد صرحت الكتب التي ذكرها كلها بشرط القرشية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والفقهاء الى زمن الدولة العباسية وبعدها بيسير (سنة ٦٤٠ هـ سنة ١٢٤٣ م) لقوله (ص) « ان هـذا الامر في قريش » ولذا ذهبت الامامية الى ان الخليفة يجب أن يكون من أهل بيت النبي (ص) ونقول على هذه القاعدة ان الخلافة

= ولما ذكروا أن الخوارج وبعض المعتزلة خالفوا سائر المسلمين في اشتراط القرشية ردوا عليهم بأن الاجماع كان قد انعقد على ذلك من عهد الصحابة مستندا الى النص فلا عبرة بخلافه

قال السعد التفتازاني في شرح المقاصد : ويشترط أن يكون مكلفا مسلما عدلا حرا ذكرا مجتهدا شجاعا ذا رأي وكفاية سميعا بصيرا ناطقا قرشيا فان لم يوجد من قريش من يستجمع الصفات المعتبرة ولي كناني فان لم يوجد فرجل من بني اسماعيل فان لم يوجد فرجل من العجم الخ (ص ٢٧١ ج ٢ طبع الاستانة)

وقال الحافظ في شرح البخاري بعد ايراد الاحاديث في حصر الامامة في قريش المؤيدة لما رواه البخاري منها ما نصه :

« ويؤخذ منه أن الصحابة اتفقوا على افادة المفهوم للحصر خلافا لمن أنكر ذلك والى هذا ذهب جمهور أهل العلم أن شرط الامام أن يكون قرشيا » — ثم ذكر من قيده ببعض قريش، كالشيعة ورأي الخوارج وبعض المعتزلة بعدم اشتراط القرشية وتعقبه بقوله «قال أبو بكر بن الطيب لم يعرج المسلمون على هذا القول بعد ثبوت حديث «الائمة من قريش» وعمل المسلمين به قرنا بعد قرن وانعقد الاجماع على اعتبار ذلك قبل أن يقع الاختلاف (ص ٥٨١ ج ٢٩ طبعة الهند)

ثم ذكر الحافظ ما رواه أحمد عن عمر من ميله الى استخلاف أبي عبيدة وهو غير قرشي أو معاذ بن جبل وهو أنصاري وجمع بينه وبين نقلهم للاجماع باحتمال أن يكون رجع عن ذلك أو يكون الاجماع قد انعقد بعده. والصواب أن ابا بكر قد احتج على الانصار — وعمر بظاهره — بحديث حصر الائمة في قريش فأذعنوا ولم يعارض فيه أحد منهم ولا من غيرهم فانعقد الاجماع من ذلك اليوم ويكفي هذا اعلالا لرواية قول عمر إنه كان يحب أن يستخلف أحد الرجلين . وهل يوجد شيء يرد به أثر آحادي أقوى من هذا الاجماع وهذه النصوص المتفق عليها؟

وذكر الحافظ قبل ذلك ما أورد على حديث « لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي من الناس اثنان » على القول بأنه خبر محض من أنه تولى أمر المسلمين كثير من غير قريش وأجاب عنه أولا بأن تولي هؤلاء لم يمنع وجود أئمة من قريش في اليمن والمغرب وغيرهما وأن بعض أولئك كان يدعي الفرشية كبني عبيد ثم قال «وأما سائر من ذكر ومن لم يذكر فهم من المتغلبين وحكمهم حكم البغاة فلا عبرة بهم (قال)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اهلي عليه السلام ثم لائمة العترة، رضوان الله عليهم أجمعين — وذهبت الزيدية إلى أن الخلافة في بني فاطمة كلهم ولا خصوصية فيها لائمة أهل البيت فالامامية تشترط في الخليفة مع سائر الشروط المذكورة آنفاً، ان يكون من أهل البيت النبوي، والزيدية توسع فيها وتقول كل بني فاطمة أهل للخلافة وهم يستحقونها دون غيرهم

ولا تنسين ان هذا الاختلاف في الشكل الاول. اما في الشكل الثاني — أي اذا لم تقدر الامة على انتخاب الخليفة لتغلب المتغلبين — فلا خلاف فيه بين المسلمين لكثرة الاحاديث الصحيحة واجماع الصحابة وأئمة أهل البيت في هذا الباب ولذا ترى الامة قد اتفقت كلمتها على أنه اذا استولى مسلم بقوته وشوكته وعصبيته على الخلافة وتمكن فيها وقامت حكومته وقوي أمره وجب على الامة ان تطيعه وتسمع له وتخضع لخلافته مثل مالو كان أصابها بحق، ولا يجوز لاحد الخروج عليه والقيام على وجهه، ومن يفعل ذلك يقاتله المسلمون ويعينون الخليفة عليه، مهما كان الخارج ذا فضل وصلاح وأهلية، لانه مفارق للجماعة وخارج على السلطان[1]

هذا هو حكم الشريعة في هذه الصورة، وحكمته واضحة جلية، وهي ان قيام الشريعة وبقاء الامة يتوقف على الحكومة القوية. اذ هي أساس للحياة الاجتماعية، وقد جعلت لها الشريعة نظاما في غاية من الكمال والجودة، فخولت للامة حق انتخاب الامير، وجعلت الشورى أساسا للانتخاب، وشرطت شروطا في الامير، ولم تعتمد في الامارة على امتيازات الجنس والعصبية والملوكية — بل جعلتها حرة وجمهورية محضة لا يشوبها الاستبداد والضغط أبداً، ثم حذرت

= وقال القرطبي هذا الحديث خبر عن المشروعية أي لا تنعقد الامامة الكبرى الا لقرشي مهما وجد منهم أحد. وكأنه جنح الى انه خبر بمعنى الامر وقد ورد الامر بذلك في حديث «قدموا قريشا ولا تقدموها» أخرجه البيهقي. وذكر له شواهد من الصحاح وغيرها (ص ٥٨١ ج ٢٩ ايضا)

(١) حكاية الاجماع باطلة كما أشرنا اليه في حاشية سابقة، وان الحافظ ابن حجر قال انهم يعدون المتغلبين على الخلافة من البغاة الخارجين على السلطة الاسلامية وسيأتي مزيد بيان لذلك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الناس من أن يتصدوا لها ، ويرشحوا أنفسهم لاجلها ، وينافسوا فيها ويتطلعوا اليها ، فيقاتلوا ويحاربوا عليها ، ويسفكوا الدماء في سبيلها — وقد كان رسول الله (ص) يبايع الناس على هـذا فيقول « لا ينازع الامر أهله » [1] هذه كلمة صغيرة في ظاهرها ، كبيرة في ذاتها ، وكافية لابطال الحروب والمنازعات بأسرها. وقد بوب البخاري في صحيحه عليها بابا فقال «باب مايكره من الحرص على الامارة» وروى فيه حديث أبي موسى الاشعري قال : قال النبي (ص) «انا لانولي هذا الامر من سأله ولا من حرص عليه » وكان الغرض من هذا التحذير والمنع لان الناس اذا لم يحرصوا عليها ، سهل للامة انتخاب الاصلح والاهل لها

هذا هو النظام الحقيقي الذي جعلته الشريعة للخلافة الاسلامية ولو بقي معمولا به لصلحت الدنيا كلها، ولكن النبي (ص) كان يعلم أنه لا يدوم اكثر من ثلاثين سنة فبين للامة مايجب عليها عند ما ينهدم ذلك ويحل محله الاستبداد والقهر

لنفحص المسئلة فحصا جيدا ، لنرى أية خطة أحسن عند تغلب المتغلبين على الخلافة ، فان هنا خطتين (احداهما) أن يقبل الاستبداد ويخضع له صيانة للجماعة وحفظا لنفوس الامة وذودا عن البلاد الاسلامية من الاعداء وصونا لاوامر الشريعة من التعطيل وغيرها كثير من المصالح العامة ولا تنس أن هذه الحكومة وان كانت مستبدة قاهرة الا انها اسلامية تغار على الدين وترفع شأن الامة في نظر الاعداء، نعم تنتقل الحكومة الاسلامية في هذه الصورة الى مستبد تغلب عليها ولم يبال بالنظام الشرعي لها ولا ريب في أنه تنشأ عن هذا مفاسد كثيرة [2]

وأما الخطة الثانية فهي أن يقاتل المتغلب ويخرج عليه وترد الخلافة الى من هو أصلح لها منه . ولكن اذا فعل ذلك جرت الدماء انهارا في حروب تشيب من هولها الولدان، واختلت المصالح العامة، وتزلزلت الهيئة الاجتماعية، وبطل الامن، وعمت الفوضى، وتعطلت أوامر الشريعة ، وهدمت الجوامع،

(١) يتامل كلمة أهله وما يراد بها شرعا هل يمكن أن يكون منهم الظالمون المستبدون ؟

(٢) اكثر هذه المفاسد على جرثومتها ان الامر يجري على القوة لا على الشريعة، واي حاكم تخضع له الامة خضوعا اعمى لم يقف عند حدود الحق والعدل، فلا يتعداها على علم ولا عن جهل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ونهبت البيوت ، وخربت البلاد ، وانصبت على رأس الامة المصائب ، وأصابها كل ما يصيب الامم في مثل هذه الحروب التي تثيرها الاهواء والشهوات . ومع هذا لا يعرف متى يستتب الامن وتعود الراحة ؟ اذ كل صاحب عصبية وذي مطامع كبيرة ينهض قائلا : أنا أحق بالخلافة من صاحبها ، فعلى الناس أن يبايعوني ويقاتلوا في صفي وينصروني على عدوي ! » [1] فماذا تكون حال الامة اذ ذاك؟ ألا تكون كالريشة في مهب العواصف تقلبها الرياح كيف ماشاءت؟ أولا تصبح كسفينة في بحر محيط لا ربان عليها، تتقاذفها الامواج يمنة ويسرة فتعلو تارة وتسفل اخرى ويخشى عليها الغرق كل آن ؟ ولا ينكر أن مع هذه المخاوف والاهوال يحتمل أن ترد الخلافة الى الاصلح لها ، فأي صورة أحق أن ترجحها الشريعة الغراء ؟ أتلك التي مصالح الامة فيها مصونة مضمونة ، والمفاسد محتملة ؟ أم هذه التي الخراب والدمار فيها محقق ، ورد الحق الى اهله محتمل؟

كل من له أدنى حظ من العقل الصحيح لا يتردد في الجواب بأن الصورة الاولى أحق أن تقبل وتعول عليها في مثل هذه الحالات ، وقد فعلت الشريعة ذلك جريا على قاعدة « المنافع تجلب والمضار تدفع » واذا اختلطت المصالح والمفاسد ، تختار الشريعة طريقا أقل مضرة واكثر مصلحة وترجح أهون الشرين ، اذ لو لم تفعل ذلك وفرضت على الامة عدم الخضوع لاحد سوى جامع شروط الخلافة والمنتخب على الطريقة الجمهورية الصحيحة لقام كما قلنا كل من اتخذ الهه هواه لنيل الخلافة وقال هذا الخليفة ليس بأهل وأنا أحق منه وأجمع للشروط — ثم ماذا كان بعد ذلك ؟ القتل والسلب واهراق الدماء وزهق النفوس وانهدام الهيئة الاجتماعية وتزعزع أركان الامة . فمن كان يحافظ على البلاد ويحكم بين العباد ويعاقب المجرمين ويحد السراق وقطاع الطريق

(١) الصواب أن هذا من لوازم الخضوع لكل قوي يتغلب إذ لو كان أصحاب هذه المطامع يعلمون أن الامة انما تخضع للحق لا للقوة وأنها لا تزال تقاتل المستبد الخارج حتى يهلك او تهلك الا خرج عليها خارج ، ولا تغلب مستبد ظالم ، وكلام الاستاذ أبي الكلام هنا متعارض متدافع ، وبعض ما فرضه من صور المسألة غير متعين الوقوع بل نادر ، ومقاومة الظلم والاستبداد وتغيير المنكر فرض لازم ، ولكن براعي في تنفيذه ارتكاب أخف الضررين عند التعارض

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويأخذ الزكاة ويقيم الجمعة والعيدين ويدافع عن الثغور ويرابط على الحدود؟ وأيم الله لو كان كذلك لتداعت الامم الاكالة على المسلمين ولاحتلت بلادهم وخضدت شوكتهم واستعبدتهم وأذلتهم وفعلت بهم ما فعلت ! فقبول خلافة المتغلب أحسن وأهون ، أم هذا الخراب والدمار الذي ليس فوقه خراب ولا دمار ؟ ولذا امرت الشريعة بطاعة الخليفة المسلم مهما كان ظالما ومستبدا وكيفما كانت سيرته وسريرته مالم يأمر بمعصية الله ، وما أقام الصلاة — والله تعالى أعلم بما يأمر وهو بصير بمصالح العباد ! (*)

(* الكاتب فرض صورة للتعارض بين الحق والتغلب لا تطرد بل قلما تقع وجعلها قاعدة للترجيح ، : ان مجموع الاحاديث الواردة في الامامة والامارة تدل على أمور يعز أن تجدها مجموعة في مكان واحد فتجمع بها بين ما يتراءى لك فيها من التعارض (١) ان الامام الاعظم (الخليفة) يجب أن يكون من قريش (٢) ان طاعة الامام واجبة شرعا مادام مسلما يقيم الصلاة بالناس ويقودهم بكتاب الله وانما الطاعة بالمعروف ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق (٣) ان طاعة الامراء والولاة والعمال الذين يوليهم الامام قيادة الجيوش والادارة والقضاة والجباية يطاعون وتؤدى اليهم الحقوق بالشرط الذي يطاع فيه الامام بالاولى. وفي حديث يحيى بن حصين عن جدته أم الحصين بنت اسحق الاحمسية أنها سمعت النبي (ص) يخطب في حجة الوداع وهو يقول « ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا » رواه مسلم وفي أحاديث أخرى ولو كان عبدا حبشيا مجدع الاطراف ومنه حديث علي عند الحاكم مرفوعا باسناد جيد ورجح الدارقطني وقفه قال في آخره « وان أمرت قريش فيكم عبدا حبشيا مجدعا فاسمعوا له وأطيعوا » (٤) ان ظلم الائمة والأمراء وفسقهم وأثرتهم لا تبيح لافراد الامة عصيانهم فيما يامرون به من المعروف لان ذلك يستلزم ما هو شر منه وهو الفوضى وفساد جميع الامور العامة . فكل ما ورد في كتب الكلام والفقه وشروح الاحاديث من وجوب الطاعة فالمراد به ما ذكرنا لما علمناه به (٥) إن ذلك كله لا يدل على وجوب رضى الامة بالظلم والبغي والأثرة ولو من قريش ، ولا على الخضوع لكل قوي مستبد ، ويستحيل أن يكون هذا حكم الدين وهو يهدم الحق والعدل والفضيلة ويفسد على الامة دينها ودنياها ، ولا يمكن ترجيح احاديث الطاعة المطلقة على الاحاديث المقيدة لها بالمعروف والشرع وعلى سائر النصوص المعلومة من الدين بالضرورة . وانما يظهر الجمع بينها بان على الافراد السمع والطاعة وعلى أهل الحل والعقد من زعماء الامة التي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصل

(نصوص السنة واجماع الامة)

من يلقي نظرة سطحية على الاحاديث النبوية يرى أن رسول الله (ص) كان يخبر بما سيكون في المستقبل من انقلاب الحال وتغير الناس ، ويبين لكل حالة وكل دور علائم وآيات ، ويرسم للامة خطة تناسب كل وقت وزمان. وان هذا لمن اكبر الادلة على صدقه وصدق نبوته ، اذ كل ما اخبر جاء كفلق الصبح ، وان كان الناس لا يصدقون بذلك فبأي دليل يثبتون ما جرى في الزمان الغابر ، فكل احد يستطيع ان ينكر حينئذ وجود الاسكندر المقدوني والدولة الرومانية ، بل نابليون وحرب واترلو

والحاصل أن رسول الله (ص) كان يعلم بما يقع بعده ، ولذا جعل لكل حالة ووقت امرا وحكما ، وأمر الامة بامتثال أمره ، فيجب على الباحث أن لا يخلط بين الاوامر والاحوال خلطا ، بل يضع كلا منها في موضعه ، والذين لم يفعلوا ذلك أخطأوا وغلطوا في فهم الاحاديث ولم يستطيعوا التوفيق والتطبيق بينها

يرى الناظر أولا الاحاديث التي ذكرت فيها الخلافة الراشدة ، ولكونها كانت معلومة لديه بأنها ستقوم على منهاج النبوة تماما ، اوصى الامة بطاعتها واتخاذ أعمالها قدوة وسنة كسنته نفسه (ص) ففيها — روى عرباض بن سارية حديثه المشهور قال «قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، فوعظنا موعظة بليغة ، وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون ، فقيل يارسول الله ! وعظتنا موعظة مودع فاعهد الينا بعهد ، فقال « عليكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة وان كان عبدا حبشيا ، وسترون بعدي اختلافا شديدا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ » (ابن ماجه والترمذي) وحديث « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم» الخ وحديث «أما طبقتي وطبقة أصحابي

= هي صاحبة السلطان وهم أهل الشورى والزعامة فيها أن يوقفوا الامة والامراء عند ما أوجب الله من الحق والعدل والتزام الشرع بما دون الخلع لغير الكافر ان أمكن وأن يستعدوا لذلك بما تترجح به المصلحة على المفسدة . وكذلك فعلت كل الامم التي استقام امر حكومتها ولم توطن امة نفسها على الخضوع الا كانت من الهالكين واطلاق القول بالخضوع للمستبدين الجائرين لاجل قوتهم خطأ عظيم واية حكومة قامت بالقوة ثم قاومتها الامة براي زعمائها ولم تسقط ؟ وسيأتي ما يقرب من هذا الجمع من النووي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فأهل علم وإيمان » الخ (رواه البغوي عن انس) وحديث عبد الله بن مسعود « ما من نبي بعثه الله في امته قبلي الا وكان له حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره » الخ (مسلم) وغيرها كثير

ففي هذا الدور أمرت الامة بأمرين : الطاعة والاقتداء بالخلفاء — ثم تأتي بعده أحاديث الدور الثاني ، فيبقى حكم الطاعة على حاله فتطيع الامة خلفاء هذا الدور أيضا مثل طاعتها لخلفاء الدور الاول ، ولكن يتغير الحكم الثاني ، أي حكم الاقتداء ، فلا يقتدى بهم ولا تتخذ أعمالهم سنة متبعة ، لانه كان معلوما من قبل أنهم لا ينالون الخلافة على النظام الشرعي ، ولا يكون سيرهم طبقاً للكتاب والسنة ، فيكون فيهم الصالح والطالح والقبيح والحسن ، فلذا أمرت بطاعتهم ، ونهيت عن اتباعهم والاقتداء بهم — بل اذا قاموا لنشر بدعتهم ، وترويج فسادهم وجب على كل أحد السعي لسد فسادهم ومنع منكرهم بيده ولسانه ، وان لم يستطع فبقلبه يبغض أعمالهم «وذلك أضعف الايمان وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل فعن عبادة بن الصامت (رض) قال « بايعنا رسول الله (ص) على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الامر أهله ، الا أن تروا كفرا بواحا ، عندكم فيه من الله برهان» (متفق عليه) أي يطاع الامام في كل حال الا أن يظهر منه كفر صريح

وقال خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم » قال قلنا أفلا ننابذهم عند ذلك ؟ قال: «لا ما أقاموا فيكم الصلاة ، الا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ، ولا ينزعن يدا من طاعة » (رواه أحمد ومسلم)

وعن حذيفة قال قال (صلعم) « يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدي ولا يستنون بسنتي ، وسيقوم فيكم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان أنس ، قال : قلت : كيف يارسول الله ان أدركت ذلك ؟ قال «تسمع وتطيع وان ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع » (أحمد ومسلم)

وقال (صلعم) « ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها — قالوا فما تأمرنا؟ قال تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم » (متفق عليه عن ابن مسعود وأخرجه أيضا الحارث بن وهب وأورده الحافظ في التلخيص)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعن جابر بن عتيك مرفوعاً عند أبي داود بلفظ «سيأتيكم ركب مبغضون فاذا أتوكم فرحبوا بهم وخلوا بينهم وبين ما يبتغون ، فان عدلوا فلانفسهم وان ظلموا فعليهم »

وعن وائل بن حجر قال « سمعت رسول الله (صلعم) ورجل يسأله فقال أرأيت ان كان علينا أمراء يمنعونا حقنا ويسألونا حقهم؟ قال «اسمعوا وأطيعوا فانما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم » (مسلم والترمذي وصححه)

قال صلعم « على المرء المسلم ، السمع والطاعة فيما أحب وكره ، الا أن يؤمر بمعصية ، فان أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » (أخرجه الشيخان وغيرهما عن ابن عمر) ـ اذ لا يعصى الله خالق السموات والارض في شيء مهما صغر وقل ، لمخلوق مهما كبر وعظم وارتفع شأنه — وان هذا ما قاله الاسلام وجميع الاديان وكل العقلاء والحكماء

ولذا أمرت الشريعة بأداء الصدقات والزكاة الى العاملين عليها ، مهما كانوا ظلمة وفسقة وخونة ، ولا يجوز منعها عنهم لاجل ذلك — نعم يجوز السعي عند الامام في عزلهم ولكن ماداموا على عملهم لا يجوز منع الزكاة عنهم لئلا يختل نظام الامة ـ كما في رواية بشير بن خصاصة أنه قال قلنا « ان قوما من أصحاب الصدقة يعتدون علينا أفنكتم من أموالنا بقدر ما يعتدون علينا ؟ فقال « لا » (قال أبو داود رفعه عبد الرزاق عن معمر) وفي رواية سعد ابن أبي وقاص ، قال « أدفعوا اليهم ما صلوا » وروى ابن أبي شيبة انه قال رجل لابن عمر: الى من نؤدي الزكاة ؟ قال الى الامراء ، فقال الرجل «اذا يتخذون بها ثيابا وطيباً » قال وان فعلوا ذلك اد اليهم الزكاة !

ولذا ترجم اصحاب الحديث « باب براءة رب المال بالدفع الى السلطان مع العدل والجور » (كما في المنتقى) وبه قال جمهور الفقهاء وائمة اهل البيت .كما نقل عن الامام الباقر عليه السلام في الاصول والى هذا ذهب المحققون من الامامية والزيدية [1]

(١) قال الحافظ في شرح حديث البخاري في المبايعة على السمع والطاعة الذي تقدم في الاصل عند قوله فيه من كتاب الفتن «وان لا ننازع الامر أهله» أي الملك والامارة ، ثم ذكر زيادات في الحديث من روايات أخرى منها «وان نقوم بالحق حيث كنا لا نخاف في الله لومة لائم »

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كوارث سورية في سنوات الحرب

من تقتيل وتصليب ومخمصة ونفي

مشاهدات ومجاهدات شاهد عيان، هو الامير شكيب أرسلان

٦

ثم لا ينبغي ان ننسى ان لجبل لبنان علة ثانية زادته وبالا على وبال وهي ولوع أهله بتربية التوت وترغيبهم هذه الشجرة ما استطاعوا اليه سبيلا. وهم معذورون في ذلك لان الجبل بضيق أراضيه ووعورتها لا يلام أهله في اعتمادهم على التوت الذي

= وذكر في شرح قوله « الا أن تروا كفرا بواحا » روايات أخرى بلفظ المعصية والاثم بدل الكفر ثم قال: وفي رواية اسماعيل بن عبدالله عند أحمد والطبراني والحاكم من روايته عن أبيه عن أبي عن عبادة « سيلي أموركم من بعدي رجال يعرفونكم ما تنكرون، وينكرون عليكم ما تعرفون. فلا طاعة لمن عصى الله » وعند أبي بكر بن أبي شيبة من طريق أزهر بن عبدالله عن عبادة رفعه « سيكون عليكم أمراء يأمرونكم بما لا تعرفون و يفعلون ما تنكرون فليس لاؤلئك عليكم طاعة »

وقال في شرح قوله « عندكم من الله فيه برهان » أي من نص آية أو خبر صحيح لا يحتمل التأويل ومقتضاه أنه لا يجوز الخروج عليهم مادام فعلهم يحتمل التأويل. قال النووي: المراد بالكفر هنا المعصية ومعنى الحديث لا تنازعوا ولاة الامور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم الا أن تروا منهم منكرا محققا تعلمونه من قواعد الاسلام فاذا رأيتم ذلك فانكروا عليهم وقولوا بالحق حيثما كنتم اه وقال غيره المراد بالاثم هنا المعصية والكفر فلا يعترض على السلطان الا اذا وقع في الكفر الظاهر. والذي يظهر حمل رواية الكفر على ما اذا كانت المنازعة في الولاية فلا ينازعه بما يقدح في الولاية الا اذا ارتكب الكفر، وحمل رواية المعصية على ما اذا كانت المنازعة فيما عدا الولاية فاذا لم يقدح في الولاية نازعه في المعصية بأن ينكر عليه برفق و يتوصل الى ثبيت الحق له بغير عنف، وتحمل ذلك اذا كان قادرا والله أعلم. ونقل ابن التين عن الداودي قال. الذي عليه العلماء في امراء الجور أنه اذا قدر على خلعه بغير فتنة ولا ظلم وجب والا فالواجب الصبر. وعن بعضهم لا يجوز عقد الولاية لفاسق ابتداء، فان أحدث جورا بعد ان كان عدلا فاختلفوا في جواز الخروج عليه والصحيح المنع الا أن يكفر فيجب الخروج عليه. اه (ص ٥٢٤ ج ٢٩ طبعة الهند)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

منه الحرير. وهذا القليل منه يغني عن الكثير من غيره . ولكن حال الحرب ليست كحال السلم . فلما نشبت الحرب العامة نسوا ان البحر سيصبح مسدوداً في وجههم وان البر من الداخل ستقل فيه المزروعات بسبب ذهاب الشبان كلهم الى العسكرية وأخذ الجيش للبقر والجمال . وربما لم ينتظروا أن يكون أمد الحرب سنوات متعددة بل ظنوه بضعة أشهر فلم يعملوا شيئا من الحيطة لانفسهم وبقوا يعاملون التوت كالاول وكما لو لم تكن حرب ، ويأبون ان يزرعوا ببر شجره قمحا أو شعيراً لئلاَّ يلحق من ذلك ضعف بالشجر وكذلك بين شجر الزيتون وغيره من الاشجار . وظنوا في أنفسهم ان الدولة لابد ان تميرهم من حوران والشام وحلب وغيرها . وكانوا يقولون: ان السلطان بلاده واسعة فلا يعجز أن يبعث الينا بحاجتنا من الحبوب. وفاتهم ان أكثر بلاد السلطان بعيدة عنهم وانه لا يربطها بهم سوى خط حديدي واحد لا يقدر ان يقوم بنقل مئات الالوف من العساكر مع مدافعها وأثقالها وبشحن جميع لوازم الاهالي، وان رجال العسكرية في الحرب لا يقدمون شغلا على شغل الحرب. غفلوا عن هذه الامور وتوهموا أحوال الحرب كاحوال السلم فقتلهم الجهل. وعندي ألوف من الشهود من أهل الجبل انني من أول الحرب حتى من قبل خوض الدولة غمراتها كنت أطوف على اللبنانيين وأعظهم وأبصرهم العواقب قائلا لهم ازرعوا جميع أراضيكم ولا تعفوا ولا على ما يتخلل منها التوت أو الزيتون فان الاهم يتقدم على المهم ، واني أخشى بشدة ترفيهكم لاشجاركم ان تموتوا جوعا والشجر ليس بأغلى من البشر .فلم يستبينوا النصح الا ثالث سنة عند مامستهم اللأواء ورأوا أنفسهم هالكين ان لم يفعلوا .ولكن كان الضعف يومئذ قد استولى على كل شيء ،ونضبت أكثر موارد الانفاق فلم يبق من قوة لزرع جميع تلك الاراضي التي لو زرعوها من أول سنة مع ماينالها من الريّ الوافي لجاءت بغلال تحجب عين الشمس، ولكانت قوة لهم للسنين الشديدة التي جاءت فيما بعد . فانت ترى ان الجهل باحوال الحروب وبعواقبها ، والاعتقاد بكون الدولة تقدر على كل شيء كانا من أسباب هذه المصيبة الكبرى . وكيف تقدر الدولة ان تطعمهم كفايتهم وقد عجزت في الآخر عن اطعام جيشها ، وكان الجوع من أفعل الاسباب في فشل الدولة بالحرب . ولقد علم القاصي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والداني كيف كانت الالوف تفرّ من الجيش العثماني في فلسطين من قلة القوت . وكيف كانوا فيه يقتاتون الحشائش، ويموتون ألوفا من سوء التغذية ، وكيف كان الولاة بانفسهم يذهبون الى جبل الدروز بايديهم الذهب الرنان الاصفر يعرضونه على أهله ليأخذوا بدله ما يميرون به العسكر وكثيراً ما كانوا يخفقون في سعيهم . وبقيت الاقوات مدة مديدة ترد على جيش فلسطين من قونيه من قلب الاناضول وذلك لخلو سورية ثم حلب ثم أطنه نفسها مما يكفي الجيش والاهالي معا . فالذي يقصد «التجويع» لابد ان يكون هو شبعان لاجائعا . والا فلا يكون قصد التجويع بل يكون أصيب هو بالجوع وعجز عن الميرة . ومن عجز عن كفاية نفسه فهو عن كفاية غيره أعجز . وربما قيل ما دامت الاناضول فيها ارزاق فلماذا بخلت بها الدولة على أهل سورية، والجواب لم يكن في الاناضول أرزاق تفيض عن حاجة أهلها بل اشتد الغلاء في كثير من ديار الاناضول ووقعت المجاعة في القسم الشرقي منه ومات مئات ألوف من أهله جوعا، وكثير من السوريين الذين كانوا منفيين في الاناضول ولاسيما في جهات سيواس وطوقات يشهدون بذلك . فان قلنا ان الاتراك أماتوا نصارى لبنان تجويعا لمحبتهم فرنسا فقد مات ألوف مؤلفة من مسلمي سورية من الجوع أو من الامراض الناشئة من فقد الغذاء والدواء (وأكثر الموت الذي وقع في لبنان هو أيضا بالامراض الناشئة عن ذلك ومات بعض بالجوع رأسا) فهل قتلت الدولة هؤلاء المسلمين أيضا لحبهم لفرنسا ؟ وان رد بأنها تعمدت قتل هؤلاء لكونهم عربا فهل تتعمد قتل اتراك الاناضول ومهاجري ارضروم ووان وبتليس الخ وهم اتراك واكراد وجميع ارتكانها هو عليهم ؟ وهل كان هؤلاء الاتراك والاكراد الى تلك الدرجة ذائبين في حب فرنسا !! حتى قتلتهم الدولة ؟ واذا كانت الموصل التي هي من أخصب بلاد الله وأوفرها زرعا وادرها ضرعا بلغ من شدتها أثناء الحرب ان أكل الناس فيها لحوم البشر فهل يعجب الانسان من ان تمس المجاعة أهل جبل لبنان الذي أكثره صخور صمّاء وأتربة جرداء ؟ كنا في لاستانة سنة ١٩١٧ و١٩١٨ وكان كثير من الفقراء فيها يموتون جوعا ، وهي عاصمة الملك وكان الاغنياء يوزع عليهم الخبز الاسود المجهول الماهية بمقادير قليلة ولولا فتح

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المانيا وحلفاؤها بلاد رومانيا الغنية بالحنطة والذرة وجلب الاتراك منها ما نفّس قليلا من خناق الآستانة لم يكن أحد يعلم ماذا كانت تؤول اليه حالة الاعاشة في نفس العاصمة .

مع هذا كله يوجد كثيرون ممن يقرأون كلامي هذا سيتميّزون من الغيظ لاجتهادي في اثبات كون المجاعة في سورية حصلت من حالة الحرب الطبيعية وبتواليها بضع سنين، وبالحصر البحري المحكم، وان مثلها وأشد منها قد أصاب بلاداً أخرى من ممالك الدولة العثمانية ومن غير الممالك العثمانية مثل مكدونية والصرب أو بولونية وروسية ولولا كثرة الخطوط الحديدية لقلنا النمسا والمانيا الخ ويقولون لماذا أحاول أن أنفي كون الاتراك جوّعوا أهل لبنان عمداً وتصميما لمجرد حبهم لفرنسا ولكون أكثرهم نصارى فهذه الاشاعة يحبون ان تبقى سارية ماشية رائجة وهذا الحجاب يودون لو يبقى دائما على حقيقة الحال مسدولا كرها بالدولة السابقة في سورية وتحببا وتقربا الى الدول المحتلة . . . .

والجواب ان الحق يجب أن يعلو ولا يعلى، واذا كانوا هم يبغضون الاتراك فليبغضوهم ماشاءوا ولكن ليحبوا الحق الذي لا يجوز أن يجحد بغضا بزيد ولا حبا بعمرو . والاتراك لهم سيئات كثيرة وجمال باشا أتى أعمالا ذكرناها وقبحناها ولكن ذنب التجويع هذا هم أبرياء منه . فان كان لبعض الناس أغراض سياسية في ديمومة هذه الاشاعة إما تزلفا الى الحلفاء وامّا تمهيدا للعذر من النفور من كل حكومة اسلامية . . . . . بدعواهم كون الحكومة العثمانية قتلت بالجوع ألوفا من مسيحيي لبنان . . . فهذه الاغراض السياسية ليست عندنا لا بل يجب علينا أن نبينها ونشرحها وننبه الى خطرها وما يترتب عليها من مضار التفرقة بين الامتين اللتين يجب أن تكونا متحدتين أن أرادتا عمران هذا الوطن . فقد طالعت مرة مجلة « مراسلات الشرق » المحررة بالفرنسوية التي ينشرها بباريز هذا المسمى بالسمنة فوجدت من جملة ترهاتها ان باخرة مشحونة أرزا قاجاءت الى سورية أثناء الحرب فأفرغت مشحونها ووزعه جمال باشا على المسلمين وحرم النصارى . . . . فالذي تبلغ به قحة الافتراء وهوس التفرقة بين المسلمين والنصارى أن يزعم كون الباخرة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

التي وردت من أميركا بأرزاق لاهل السواحل ووقفها الانكليز في الاسكندرية ولم يسمحوا بوصولها الى بيروت قد وصلت وأفرغت واستفاد منها المسلمون دون المسيحيين لاعجب أن يكون هو واضرابه مروّجين لحديث « التجويع » المقصود ولا غرو أن نكون نحن ممن يتوخى فضيحة تلك الاضاليل حتى يزول أثرها السيء من الاذهان .

انه سيظهر لك أيها القارىء مما سيأتي بالدليل القاطع والبرهان الساطع انه لو شاء الحلفاء لاوصلوا الاعانات الى سواحل سورية كما أوصلوها الى ممالك أخرى عضّها الجوع بنابه أثناء الحرب ولوقوا من الموت أولئك الالوف الذين ماتوا من مسلمين ونصارى . ان الحلفاء مع كونهم في حال حرب مع المانيا أمكنهم أن يتفقوا معها على اعاشة بلجيكا وتعينت لذلك لجنة مؤلفة من متحايدين اسبانيين وهولانديين كانت تأتي بالحبوب والارزاق من أميركا وتوزعها على المعوزين في بلجيكا وعلى كل من ينقصه شيء فلم يمنع وجودهم محاربين للالمان من أن يتفقوا معهم على اغاثة أمة أشفقوا أن يمسها الجوع . ولقد ثبت انهم أرسلوا الى البولونيين بامدادات وافرة والى الصربيين والى غيرهم . فلو كانوا يحبون أهل لبنان كما يدّعون لاتفقوا مع الدولة العثمانية وقتئذ وأغاثوهم ولو بسداد من عوز، ولا نقذوا تلك الخلائق من الموت، أو لسمحوا على الاقل بتسريب الاعانة التي أرسلتها أميركا لاجل سورية والاعانة التي كان البابا ينوي ارسالها الى المسيحيين وهم كانوا الحائلين من دونها، أفتكون هذه هي الحقيقة وتكون التهمة العظمى في عدم دفع هذه المجاعة عليهم ونأتي نحن لاغراض في الانفس فنبرئهم من جناية هم أنفسهم أدرى بأنهم كانوا فاعليها لاسباب حربية وسياسية قامت في نفوسهم، ونقول لهم: كلا انما اجاعنا الاتراك وأنتم أولاء أحييتمونا ؟ ولكثرة ماتردد امامهم هذه الكلمة يبلغ بهم الامر أن يظنوا كونهم صاروا أحق بالبلاد من أهلها وأن يصارحونا بقولهم : لولانا لكنتم جميعا هلكتم جوعا . كما رددوا ذلك مراراً، وآخر مرة أعلنها الجنرال غورو على مائدة غبطة البطريرك الماروني في الديمان بدون محاباة

هذا ولقد آن لنا أن نستشهد على أسباب هذه المجاعة بكلام عظيم هو بطريرك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الطائفة المارونية من تقرير أرسل به الى جمال باشا سنة ١٩١٦ وبعث هذا بصورته مع صور الكتب التي وردته من سائر البطاركة الى الفاتيكان ليطلع حضرة البابا عليها، فالبطريرك الحويك يطري الدولة العثمانية اطراء اعظيما في مراحمها ومكارمها وشخص جمال باشا في ادارته ويدافع عن أعماله ويبرّرها ثم يقول ماتعريبه (لان أصل التقرير باللغة الفرنساوية) بالحرف

شهادة بطرك الموارنة للترك وجمال باشا

« أما ما يوجهونه من التهم بشأن وسائل الضغط والتضييق التي بزعمهم قد استعملتها الحكومة بحق السوريين ولاسيما الموارنة اللبنانيين كالاجاعة والنفي فاننا نجد من العبث الاجتهاد في ابطالها وانما نأسف من كون هذه الاراجيف المصطنعة هي عمل بعض ذوي المآرب، ولذلك نعلن عدم موافقتنا لهم ونتندب من تلقاء أنفسنا وبكل حرية للدفاع عن الحقيقة المقدسة والعدالة السامية »

« انه كما حصل في جميع الممالك المحاربة قد وقعت عندنا أيضا نوازل هامة ومصائب بطبيعة الحال، وذلك مثل الجراد الذي أكل مواسم البلاد ، والحصر البحري، وحجز دول الائتلاف ما يرد باسم السوريين من الحوالات من أميركا، وغلاء الاسعار، وقلة مواد الرزق الوطنية، وتعذر اصدار محصول الحرير. فهذه المحن جاءت كلها دفعة واحدة وبدون اختيار الحكومة العثمانية ووضعت البلاد في مركز ضنك . ولكن لحسن الحظ قد تمهدت جميع هذه العقبات بعناية الدولة الابوية ومآتيها الخيرية، ولا سيما بالمساعي المتواصلة والتدابير المؤثرة التي كان يأتيها حضرة صاحب الدولة أحمد جمال باشا قائدنا الشهير ناظر البحرية وقائد قوادالفيلق الرابع الذي كرم سجيته منقوش على صفحات القلوب، وصدى أعماله الخيرية سيرن مدة أعصر طويلة من أعلى جبل لبنان الشهير . نعم انه بحق يعد أهل سورية ولا سيما المسيحيون منهم وجود دولته في بلادهم احساناً عظيما ونعمة من الله »

« وأما الاسطورة التي معناها أن الموت جوعا قد فشا في الشعب اللبناني بسبب الحصر المقصود الذي تجريه الحكومة، فهذا افتراء فظيع، ولقد بينا أسباب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ذلك . كذلك لم تحشد جنود في الجبل لاجل التضييق على أحد من الاهالي بل بالعكس قد كان هذا الجند المرابط لاجل الدفاع عن البلاد ذا فائدة عظيمة في توطيد الامن العام الذي لم يوجد قط في لبنان قبل الحرب كما وجد الآن ، وكانت سيرة هذا الجند التي هي مثال الادب فوق مدح كل مادح مما اقتضى عرفان الجميل »

« كذلك يعزون الى الحكومة كونها تصرفت بشدة بحق أشخاص اتهموا بالخيانة وقد ثبتت جريمتهم، وتوضحت بوثائق رسمية. والذي لابد من الاعتراف به هو أن مثل هذه التدابير الشديدة التي لا مناص منها في هذه الاحوال هي مما يجريه جميع الممالك المتمدنة (هنا مثل لاتيني مذكور بنصه ومعناه): ان أسمى عدالة هي سلامة الوطن »

« كذلك نرد صريحاً هذه الاشاعة الغريبة، وهي اننا قد أشخصنا بذاتنا الى الديوان الحربي في حلب نحن الذين لانزال موضوع الكرامة العظيمة والبر من قبل حكومتنا العزيزة وممثلها قائدنا العظيم »

« وبالنهاية بجميع قوة عواطفنا ومن صميم فؤادنا نعلن انه ليس لنا الا أمنية واحدة ودعاء واحد وهي ان القادر على كل شيء يحرس السلطنة السنية، ويقودها من نصر الى نصر الى الظفر النهائي ، ونضم الى هذا الدعاء التأكيد باسمنا وباسم جميع الموارنة بالتخصيص انه ان كانت فرنسا يوما من الايام أو عدوة أخرى أية كانت تجسر ان تتعرض لهذه البلاد من اجزاء سلطنتنا فلتعلم اننا بأجمعنا مستعدون للقتال في صفوف حكومتنا العزيزة، ولبذل جميع مجاهيدنا، ولتحمل كل مناداة طوعا واختياراً، ولنسفك دمائنا ان مست الحاجة الى آخر نقطة »

الياس بطرس الحويك البطريرك الماروني

وربما قيل ان هذا التقرير فيه استطراد الى غير مسئلة المجاعة فما معنى نشره كله والجواب اننا لم ننشره كله لطوله بل نشرنا القسم الاخير منه لما فيه من جلاء الشبهات ولكون الكلام آخذاً بعضه برقاب بعض فلا يحسن اقتضابه ، وان شاء القراء ننشره من أوله الى آخره بالحرف لانه وثيقة تاريخية عظيمة القيمة كما اننا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بعد شهادة البطريرك الماروني هذه تنشر الآن تقريرغبطة بطريرك الروم الارثوذكس المتقدم الى جمال باشا أيضاً مع كتاب خاص وهذا نص الكتاب معرباً بالحرف

كتاب بطرك الارثوذكس لجمال باشا

« ياصاحب الدولة

«اننا باسمنا وباسم الشعب الارثوذكسيّ في سورية وفلسطين نتشرف بأن نرفع الى معارف معاليكم ما يأتي

« لقد أثرت بنا جداً العبارات الجارحة التي دارت بحق حكومتنا السنية في البرلمان الفرنساوي ورددتها الصحافة الفرنسية ، والتي صداها يجرح كرامتنا نحن العثمانيين الصادقين فلذلك جئنا بالوثائق الملحقة محتجين علناً على هذه الاكاذيب الوقحة مفندين هذه المزاعم الباطلة »

« وهكذا فلاجل شرف الامة العثمانية وبمقتضى الحرارة الوطنية المقدسة جئنا نرجو من دولتكم أنتم حامي سورية وفلسطين وأعظم المحسنين عليهما أن تأذنوا بنشر هذه الوثائق لاجل نصرة الحقيقة »

« وفي جميع الاحوال نبتهل الى الله القادر على كل شيء بأن يحفظ شخص دولتكم ويرفعكم من مجد الى مجد لاجل سعادة وطننا العزيز »

« دمشق — الرابع عشر من اكتوبر السنة الالف والتسعمائة والسادسة عشرة

غريغوريوس الرابع بطريرك انطاكية وسائر المشرق

أما التقرير التابع للكتاب فهو ما يأتي معربا بالحرف

« الى دولة أحمد جمال باشا ناظر البحرية وقائد الفيلق الرابع »

« في هذا اليوم لا يجهل أحد ماقيل في البرلمان الفرنساوي ومارددته الصحف الفرنسية بشأن المسيحيين عموماً في سورية وفلسطين »

زعموا أن لفرنسا نفوذاً سائداً في هذه البلاد الجميلة التاريخية التي هي جزء من السلطنة العثمانية وادعوا ان الحكومة العثمانية تستعمل وسائل القهر والتضييق على المسيحيين في هذه الديار قاصدة ملاشاتهم بطرق متنوعة كالتجويع والنفي الخ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

« فنحن على ثقة بأن فرنسا تحاول أن تقف عنا موقف دفاع لا فائدة له من أجل غرض في نفسها. واننا نحن معاشر العثمانيين العائشين منذ قرون عديدة في هذه السلطنة أدرى بأمورنا وأولى بالدفاع عن حقوقنا »

« نسأل الله أن لا يجعل مصيرنا أبداً مرهونا الى رأفتهم »

« فباسمنا نحن بطريرك الكنيسة الارثوذكسية في سورية وفي كل المشرق التي هي أقدم كنيسة في الشرق نحتج بكل قوتنا على ما قيل بغير حق عن حكومتنا العثمانية العادلة »

« لا يلزمنا أن نبحث في التاريخ وأن نسأل الاعصر الماضية لاجل ابطال هذا الحق التاريخي التي تدعيه فرنسا . فنصارى سورية لم يزالوا هم قرابين أولئك الذين يزعمون انهم حماتهم »

« أي فرنسا هل تقدرين أن تقولي لنا عما اذا كانت حرية الاديان محترمة تحت ظل شرائعك كما هي محترمة عندنا ؟ وهل الكنيسة والاكليروس متمتعان في أرضك بالحماية التي تحوطنا بها نحن الاكليروس والشعب المسيحي حكومتنا السنية؟ »

« نحن اذاً مفتخرون بان نعلن على الملأ انه في ظل مكارم حكومتنا العثمانية السلطانية وعنايتها الابوية لا مسيحيو سورية وفلسطين فقط بل الاكليروس المنسوب الى فرنسا الحرّة نفسها يتمتعون في ظل هذه العناية بما هم محرومون منه في بلادهم »

« وبناء على ما تقدم كان لنا الحق أن نرى فرنسا تدفعنا الى تجديد شكرنا لدولتنا العلية بدلا من ان نعزو اليها تهماً باطلة ونضيف الى ذلك القول بأن مسيحيي سورية وفلسطين هم من عناية حكومتهم الابوية في غنى عن كل عضد آخر »

« أيصح أن يكون لنا ضلع الى حكومة أجنبية عند ما نكون عارفين يقيناً ان دولتنا هي أعدل وأفضل من الحكومة التي نريد أن نختارها ؟ اذاً يكون ذلك منا فداء السعادة

« ونسأل من صميم القلب الاله القادر على كل شيء أن يحرس الى الابد حكومتنا المحبوبة وان يوفقها الى تحقيق جميع مقاصدها الشريفة »

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

«وأما الحالة الحاضرة وما أوجدته من الازمات فنعترف بأن مثل هذه الازمات هي من شأن آونة كهذه على انهـا تلطفت كثيراً بعناية حكومتنا وليس من حكومة يحق لها أن تفتخر بالاعتناء بمثل ذلك برعاياها »

«و بوصولنا الى هذه النقطة لا يسعنا أن نضرب صفحاً عن ذكر علة سعادتنا والمحسن العظيم على النصرانية في هذه البلاد صاحب الدولة أحمد جمال باشا ناظر البحرية وقائد الفيلق الرابع الذي صورته الساميـة تبقى مرسومة أبداً في قلوب المسيحيين وماثره مكتوبة بأحرف من ذهب في تاريخ بلادنا »

غريغوريوس الرابع بطريرك انطاكية وسائر المشرق

وهناك تقرير ثالث مصحوب بكتاب أيضاً الى أحمـد جمال باشا من (نيافة) المطران ديمتريوس القاضي قائم المقام البطريركي للروم الكاثوليك لاحاجة الى تعريبه ونشره لانه طويل وأشـبه بأخويه السابقين، ويزيد بكونه لا يعرف للكاثوليك الشرقيين علاقة لا بفرنسا، ولا بدولة أخرى أجنبية بل بالبابا فقط . وهذه العلاقة مع الكرسي البابوي هي دينية محضة . وربما قيل ان تقارير البطاركة هذه لا عبرة بها لانها استكتبت تحت الضغط والاكراه في زمان كان السيف فيه ينطف دما . والجواب ان أمثال هؤلاء الرؤساء المبجلين يجلون عن ان يكتبوا خلاف اعتقادهم ولم نسمع قط يومئذ ان أحـداً أجبرهم على هذه الكتابة أو أنذرهم بشر إن تأبوا ان يعطوا هذه الشهادات ، وكانت كرامتهم دائماً محفوظة أيام الحرب وتوقيرهم تاما. ومرة تكلم أمامي انا جمال باشا مع بطريرك الارثوذكس في ان يحرر شيئاً في جريدة الشرق فلم يجاوبه البطريرك أصلا، وكنت أراه معـه في غاية المتانة، فرجل كهذا لا يصرح بهذه الشهادة الطويلة العريضة ان خالفت وجدانه . وقصارى مافي الامر ان يكون جمال باشا أرسل اليهم بأنه في مجلس البرلمان الفرنساوي قيل كذا وكذا فماذا يقولون هم ؟ ثم ان قيل ان هـذه الكتابة من غبطة البطاركة وقعت يومئـذ بالاكراه والاجبار — وهو مالم يقع — فلماذا لا يقال ان انكار بطريركي الارثوذكس والموارنة للمؤتمر السوري الفلسطيني المنعقد في جنيف هو واقع أيضاً تحت مثل هذا الضغط من الجنرال غورو، ولماذا تتبجح بذلك فرنسا واذنابها ويعدونه حجة علينا؟..

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الرحلة الاوربية

(٣)

الفنادق في سويسرة

كان الامير ميشيل بك لطف الله أوصى توفيق أفندي اليازجي بأن يحجر لنا حجرات في فندق من أرقى فنادق (جنيف) وأحسنها اذ كان بلغنا أن هذه الفنادق ستكتظ على كثرتها بالمسافرين عند اجتماع عصبة الامم ، وأن يستأجرها اذا توقف حجرها على استئجارها؛ وصح ماقيل من تسابق الناس الى مثل ذلك. فلما وصلنا الى جنيف ذهب بنا الى فندق انكلترة وهو من الفنادق الوسطى ، وموقعه أمام البحيرة جميل، فلم يعجب الامير ميشيل بك وعاتب توفيقا على انزالنا فيه، فاعتذر بأن الخديو كان ينزل فيه. فقلنا لعله كان يراه أعون له على التنكر، وقد نزل فيه في وقتنا الامير عزيز حسن. ثم عهد الامير ميشيل الى جورج افندي يوسف سالم بأن يبحث لنا عن ٤ حجرات في فندق من الدرجة الاولى يكثر فيه كبار أعضاء جمعية الامم ليسهل التعرف بهم، ويكون وجودنا معهم مذكرا لهم دائما بوجود وفد سوري يطالب باستقلال بلاده ، وبعد جهد في البحث والتجوال وجد لنا مطلوبنا في فندق (دي برك) وكان الامير ميشيل قد أوصاه بأن يساوم صاحب الفندق في اجرة الحجرات وثمن الطعام واجرة غسل الثياب فلم يعن بالتدقيق في ذلك بل رضي بأن نعاملهم بالتعريفة التي يطلبونها لظنه أن ذلك محدود كما يقولون . ثم تبين أن الامير ميشيل هو المصيب ، وأنه أعلم بشؤون البلاد من سالم الذي هو اكثر منه أسفارا وتجوالا في الممالك كما قلنا من قبل ، وانه كان يمكن أن يقتصد بالمساومة مبلغا من الجنيهات لا ينبغي التسامح في مثله

وقبل أن أبين الفائدة التي أقصد اليها من ذكر هذه المسألة أذكر دقيقة أخرى للامير ميشيل هي دونها في باب الاقتصاد ، ولكنها تدل على حذق وذكاء واختبار وهي أن أصحاب فندق فيكتوريا في مدينة لوزان لما قدموا لنا جريدة الطعام، وهي مطبوعة ألفينا فيها الاثمان المطبوعة مرجحة وبجانبها أثمان مكتوبة بالحبر هي اكثر منها فلم ينتبه أحد منا الى سبب ذلك غيره فقد قال ان هذه الاثمان المطبوعة هي أثمان الطعام لاهل البلد، وانهم انما زادوا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فيها لاجلنا ، فان لاهل سويسرة حذقا في اجتلاب الاموال من السياح لا يضارعهم فيه غيرهم، وسبب ذلك أن ما يرجوه من الاجانب معظمه من الذين يقصدون بلادهم من جميع أقطار العالم المدني للتمتع بمناظر جبالها ومروجها الخضراء ، وبحيراتها الزرقاء ، واستنشاق نسيمها العليل ، وتفيؤ ظل حدائقها الظليل ، فما ينفقه فيها السائحون والسائحات ، هو عند أهلها من قبيل دخل الصادرات ، وأما الصادرات التي تخرج منها الى غيرها فهي قليلة أهمها الساعات من المصنوعات المعدنية فهي أشهر بلاد أوربة اتقانا لها ، والزبدة والجبن والفاكهة من نتائج الزراعة ،

هذا وان جميع الاسعار في بلاد سويسرة محدودة لجميع أنواع البضائع واهلها يغلب عليهم الصدق والامانة، وقد قيل لنا ان اكثر بلاد اوربة ولا سيما العواصم والثغور العظيمة كباريس ومارسيلية يبيعون الغرباء بأسعار اعلى من الاسعار التي يبيعون بها الوطنيين ، واما سويسرة فقلما تجد هذه المعاملة فيها للغرباء في غير الفنادق، ومن اسباب ذلك ان اكثر اصحابها من اليهود

اما بعد فان غرضنا من الالمام بهذا البحث تنبيه القراء الى ما يجب على المسافر من بلاده الى اوربة وغيرها من الدقة والاقتصاد في النفقة ، وحفظ ماله ان يضيع فيما لا يفيد صاحبه حمدا في الدنيا ولا ثوابا في الآخرة ، بل هو من اسراف الغباوة الذي يحتقر فاعله كل عاقل وقف على حاله

ان من لا يعرف ميشيل لطف الله اذا سمع أنه يساوم في أثمان طعام الفنادق، وينبه من يوليه امر نفقته الى امثال هذه الدقائق، يظن انه ممن يصح ان تكتب اخبارهم في نوادر البخلاء ، أوان الدافع له الى مثل هذا التوفير الفقر والاملاق ، اما وكل من يعرف الرجل يعلم انه من اكبر اهل النعمة والثراء ، ومن اشهر الاجواد والاسخياء، وانه مقري الضيوف ، ووهاب الالوف ، فكيف يفهمون بعد هذا منه ، ما رأينا من هذه الدقة في التوفير عنه ؟

لا شك ان سفهاء الوارثين المعروفين في هذه البلاد ، وهم لا يعقلون معنى لكلمتي التوفير والاقتصاد ، الذي عليه مدار ثروة الامم والافراد ، يعدون ذلك من الهنات المستهجنات، ويكثرون التنادر بها، واختراع النكات لها واما اهل العلم والبصيرة ، فهم الذين يقدرونه قدره ، ويعلمون انه من العقل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والحكمة ، والشكر الذي تدوم به النعمة ، وانني قبل التثريب على أولئك السفهاء المسرفين ، أذكر لهم مثلا من قصد الاجواد المتقدمين والمتأخرين ،

روي في مناقب الامام الحسن السبط عليه السلام أنه جاء المدينة المنورة تاجر من العراق بأحمال من أجود الثياب ، فاشتراها منه الحسن بعد أن بالغ في المساومة معه ولم يترك له من الربح الا القليل ، ثم أخذ منها ثوبا أو ثوبين ووزع الباقي على الحاضرين ، فقال له التاجر يا ابن رسول الله لقد بالغت في مساومتي حتى لم يكن لي من الربح على تعبي الا القليل وقد كنت أحق من هؤلاء الناس بمثل ما أعطيتهم — أو ما هذا معناه — فقال له الحسن : « المغبون لا محمود ولا مأجور » أي لا هو مهدي هدية فيحمد ولا متصدق فيؤجر . وهذا حديث مرفوع رواه الخطيب عن أبيه والطبراني عنه وأبو يعلى عن أخيه الحسين عليهم السلام

وما رأيت أحدا من الاغنياء العقلاء أشبه بالامير ميشيل في إنفاقه وتوفيره ، من الشيخ قاسم آل ابراهيم التاجر العربي الشهير في بومبي (الهند) فقد عهدناه ينفق من سعته في الاعمال العامة كالمدارس والاعانات للدولة العثمانية فيهب المئات والالوف من الجنيهات ، ولا يطمع أهل الكدية والاستجداء منه بدينار ولا درهم وان وقف على بابه طول النهار ، وأطراه بالبليغ من الاشعار ، على أن ميشيل لطف الله كثيرا ما يعطي الشعراء والادباء ، ولكن دون ما يهب للمدارس والجمعيات الخيرية ، والاعمال السياسية ،

فأمثال هؤلاء الاغنياء هم الذين يعرفون كيف يحفظون نعمة الله عليهم بالثروة ، ويكونون أهلا للمزيد والزكاء فيها على كثرة النفقة

هذا وان ما يمكن توفيره من نفقات السفر في أوربة من غير إزراء بصاحبه ، ولا نقص في تمتعه ، ليس بالشيء التافه الذي لا يعتد به ، وناهيك باختيار المواقع ، ومساومة أصحاب المنازل والفنادق . وقد علمنا ان أهم سبب غلاء المواد الغذائية في سويسرة وغيرها وارتفاع اجور الفنادق هو جعل ورقها النقدي (بنك نوت) بسعر الذهب لا ينقص شيئا — وقد كان هذا سببا لقلة قصد السائحين اليها بعد الحرب كما كان يعهد قبلها حتى سائحي الانكليز والاميركيين الذين هم اكثر الشعوب سياحة وأوسعهم فيها نفقة فقد تجولنا بعد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فض مؤتمرنا في أشهر بلادها ، ورأينا أشهر فنادقها فلم نجد الا القليل من السائحين فيها، ولما ذهبنا الى ألمانية وجدنا الفنادق غاصة بالناس من أهل سويسرة وغيرهم، حتى انك لتطوف على الكثير منها فلا تجد لك حجرة فيها كما سيأتي في محله . وانما تكثر الغرباء في مدينة جنيف وحدها لما ذكرنا من اجتماع جمعية الامم فيها، وكثرة قصد المشتغلين بالسياسة اليها .

الفرنك السويسري كالفرنك الفرنسي والليرة الايطالية وغيرها من نقد دول الاتحاد اللاتيني، كلها متساوية في وزنها الفضي وسعرها الذهبي، ولكن التعامل العام قد انحصر منذ اشتعلت نار الحرب في الورق وهو مختلف السعر الآن حتى في البلاد التي يطبع فيها بحسب الثقة المالية قوة وضعفا، والمعيار العام في أوربة لهذا الورق (البون) الانكليزي لان مالية انكلترة اثبت من غيرها من الدول الاوربية التي اشتركت في الحرب ولا يعلوها في ذلك الا الولايات المتحدة وسويسرة فانها كالولايات المتحدة في سعر القطع ففرنكها لا يقل عن اربعة قروش مصرية صحيحة

وان شئت مثالا من امثلة غلاء الفنادق الغريب في سويسرة فاعلم ان ثمن البيضة في السوق قرشان مصريان كما اخبرنا توفيق افندي اليازجي وهي في الفندق أغلى ، وأن اجرة غسل بعض الثياب في شهر واحد قد يزيد على ثمنها ضعفا اوضعفين او اكثر، فان اجرة غسل كل من المنديل والجورب وكيه لا يقل عن فرنكين سويسريين كاجرة القميص واللباس وقد يكون في بعضها أكثر، افليس شراء جديد بدلا من المتسخ هنالك خيرا من غسله كلما استعمل كما هي العادة؟ وقد هال رياض بك صلح انه دفع جنيهين أجرة لغسل ثيابه في الفندق الذي نقيم فيه (أوتيل دي برج) ومتوسط نفقة الطعام في سويسرة جنيه انكليزي او مصري في اليوم وفي فندقنا وما ماثله أكثر، وفي بعض مطاعم السوق أقل .

وهذا الفندق من اغلى الفنادق اجرة وطعاما ان لم يكن اغلاها ، والطعام فيه اجود واكثر منه في فندق فيكتوريا الذي نزلنا فيه اولا (وكتب اولا فندق انكلترة سهوا وطبع) فالالوان هنالك قليلة وهنا كثيرة جدا، ولكن لكل يوم بل كل وجبة الوانا معدودة لها ثمن معين ومن طلب غيرها مما يوجد دائما رهن الطلب كالفراخ والسمك والطير وسائر اللحوم بأنواعها فعليه ان يدفع ثمنه . ومن عاف شيئا من طعام الوجبة فله ان يطلب بدلا منه بغير ثمن جديد،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكنت دائما اطلب بدلا من الالوان التي يدخل فيها لحم الخنزير ، والجبن من متممات الطعام يجوز ان يستبدل به بعض الفاكهة — وهي كثيرة وجيدة الاالتين فانه قليل وردي، وقيل لنا انه يأتي من اسبانية واكثر العنب غير جيد ايضا

(استطراد في اغبياء الاغنياء المسرفين)

هؤلاء الاغنياء المسرفون هم الذين يبذرون الاموال في سبيل الشهوات المحرمة، والفخفخة الجديرين بأن يسلبوا ما وهبوا من النعمة ، يتوهم الجاهل المغرور منهم أن الشرف والفخار، في استمالة الفواجر والفجار، وتملق سماسرة الفسق من قواد وخمار ،وشخوص الابصار على موائد القمار،واطراء المخادعين من الطامعين والشطار، وتغرير السماسرة الاشرار،فتراه بينهم يعطي باليمين واليسار، ويشتري سلعة الدرهم بالدينار

الا ان هؤلاء الاغنياء الاغبياء ، والمبذرون السفهاء ، هم أعداء الله تعالى وأعداء دينه ، وأعداء أوليائه من فضلاء الناس وخيارهم،وأولياء أعدائه من أشرارهم ، وأعداء امتهم ووطنهم ، واعداء ذوي قرباهم ، ولا سيما ازواجهم واولادهم ، فهم اذا اعدى اعداء انفسهم .

أما كونهم اعداء الله واعداء دينه فهو انهم يكفرون نعمه عليهم بالمال وبالجوارح والمشاعر والحواس باستعمالها فيما يخالف شرعه الحكيم ، ويضل عن صراطه المستقيم ، وقد وصفهم في كتابه بقوله (ان المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا) ويدخلون في عموم قوله (وأن المسرفين هم اصحاب النار) ولا نطيل في تذكيرهم بآيات ربهم فهم عن ذكره معرضون

واما كونهم اعداء اولياء الله اهل الفضائل ، فهو ان الاسراف قد هبط بهم الى اسفل دركات الرذائل ، وانما يحب الانسان شبيهه ، ويكره بمقتضى الطبع مخالفه وضده ، ولهذا وصفهم الله بأنهم اخوان الشياطين ، وهو يصدق بشياطين الانس والجن ولذلك جمع ، فأما شياطين الجن فهي ما يجدون اثره في خواطرهم،ووساوس انفسهم، التي تزين لهم الفسق وتلبس عليهم الحقائق، بتسمية الرذائل بأسماء الفضائل،كتسمية الاسراف جوداً وكرما ، وتملق المنافقين (النصابين) جاها ومجدا ، وتهافت المواهر وخدمة الحانات والمواخير عزا وشرفا ، واما شياطين الانس فهم قرناء السوء المنافقون المتملقون الذين يتهافتون على الاغنياء المسرفين ، ولا سيما الشبان الوارثين ، فيزينون لهم في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الظاهر، مايوسوس به الشيطان في الباطن، فهم شرمنه واقدر على الاغواء، لان التناسب بين شيطان الجن والشرير من الناس نفساني فقط، واما التناسب بينه وبين شيطان الانس فهو نفساني وجساني، ذاك يشغل قلبه وخاطره، وهذا يملك باطنه وظاهره، فيشغل سمعه وبصره، وذوقه ولمسه، ويكون قدوة سيئة له في جميع الرذائل، وشاغلا بل منفراً له عن معاشرة الافاضل،

واما كونهم اعداء وطنهم وامتهم فله مظاهر كثيرة ادبية، كسوء القدوة في إفساد الاخلاق وشرحه يطول — واقتصادية كتحويل ثروة البلاد الى الاجانب انبأني نخلة باشا المطران في القسطنطينية سنة ١٣٢٩ قال انبأني رجل من كبار الماليين في باريس ان متوسط ما تربحه باريس وحدها من المصريين في كل صيف ثلاثون مليون فرنك (وهو مليون ونصف مليون دينار (بنتو) افرنسي من الذهب) ومثل هذا الاحصاء خاص بما يمكن العلم به ويتناوله الاحصاء عادة كأجور الفنادق والملاهي والملاعب والحانات، وربما كان منه مواخير البغاء الرسمية دون ما يعطى للاخدان، ويقال انه قلما يوجد رجل من الذين اعتادوا الاصطياف في اوربة من المصريين لاجل التمتع بالشهوات ليس له خدن يكثر الاختلاف اليها في بيتها او تختلف اليه في البيت الذي يقيم فيه من الفنادق العامة او الدور الخاصة التي يعرف واحدها (بالبنسيون)

وللقمار مقامر عامة يمكن إحصاء ربحها وخسائر الشعوب فيها ولكن المبتلين به لا يحصرون مقامرتهم فيها بل يقامرون اصدقاءهم واخدانهم من النساء والرجال في البيوت والملاهي والمتنزهات، وقد بلغنا ان عمر باشا سلطان قد خسر بالمقامرة في صيف سنة واحدة (لعلها السنة التي مات فيها او السنة التي قبلها) ثلاثين الف جنيه مصري

ان اكثر الاغنياء الاغبياء ولا سيما الشبان الوارثين منهم يخوضون بحار هذه الموبقات بغير عقل ولا حساب ولا تقدير، فهم ليسوا كالافرنج الذين لهم من العلم والتربية ما يقف بهم عند حدود من الاقتصاد فيها كغيرها من النفقات المشروعة: بلغني ان المقامرين منهم يضعون في ميزانية نفقاتهم السنوية مبلغا معينا من الدخل يوزعونه على الاشهر لا يتجاوزون قسط الشهر ربحوا ام خسروا. والمقامرون ولاسيما المسلمين الجغرافيين او الرسميين من أهل بلادنا قلما يقف احد منهم عند حد او يتقيد بنظام، وان خسر دخل السنة كلها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في اسابيع او ايام ، بل يقترض بعد ذلك بالربا الفاحش ويرهن املاكه لعدم قدرته على كبح جماح نفسه ، والوقوف بها عند حد من شهواته ، ولو ان الجرائد تنشر اخبار هؤلاء السفهاء وما يخسرون في القمار وسائر طرق الفسق والفجور لكان لها تأثير عظيم في ردعهم ، واعتبار الناس بسوء حالهم .

ان آخر ما سمعت من اخبار هؤلاء المسرفين خبر شاب من الوارثين كان قد انفق مبلغا عظيما في سبيل العلم فظننت انه سيكون كالشيخ قاسم ابراهيم في جده وعقله في بذله ، وبعده عن اللهو الباطل واهله، او كالامير لطف الله في جمعه بين منتهى ابهة التمتع بزينة الدنيا وطيباتها ، وبين اعمال البر والمعروف مع النظام والتدبير فيهما ، ولكن خاب الامل فيه اذ علمت أنه غلا في الاسراف والتبذير غلوا كبيرا، لعله لا يدع له فتيلا ولا نقيرا ولا قطميرا ، فهو ينفق أضعاف ماترك له والده الحريص من الدخل الكبير، وطفق يقترض بالربا الفاحش ويرهن ويبيع، فحزنت وأنا لا أعرفه عليه ، وتمنيت لو تخلص مثل هذه النصيحة اليه، وأن لا يكون إن نصح ممن قال الله فيهم (أم تحسب أن اكثرهم يسمعون أو يعقلون — ومن قال فيهم — ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون)

وكذلك ماينفقه هؤلاء في وطنهم يتسرب أكثره الى جيوب الاجانب أيضا فانه انما يذهب في الفجور واكثر الفواجر منهم ، والخمور وجميعها من صادرات بلادهم ، والقمار وهم أصحاب القدح المعلى فيه ، أو ربا الديون وهم أصحاب المصارف ورءوس الاموال له،

أي عداوة للوطن وجناية عليه اكبر من نزح ثروته منه وإعطائها للاجانب ؟ ولو أن هؤلاء السفهاء يجعلون ماينفقون في غير الضار لهم من شهواتهم وفيما ينفع الوطن من المشروعات العلمية والعملية لامكن لمصر أن تضارع أوربة وتباريها في زمن قصير، سواء كان هذا البذل تبرعاً في سبيل المصالح العامة أو استغلالا للمال فيما يرقي الزراعة والصناعة والتجارة ويحفظ ثروة البلاد من الضياع، ولو أنهم يشترون به سندات دين الحكومة وسهام الشركات والمصارف العقارية وغيرها لامكنهم إعتاق حكومتهم وأمتهم من استرقاق الافرنج الاقتصادي لها وجعلها حرة مستقلة في ادارة ثروتها، والاستقلال الاقتصادي أنجح ذرائع الاستقلال السياسي اذا كان مفقوداً ، وأقوى دعائمه اذا كان موجودا ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأما عداوة هؤلاء الاغنياء الاغبياء لاهلهم واولادهم فهي انهم اسوأ الناس قدوة لهم في الفساد الذي اشرنا اليه واقلهم عناية بتربيتهم الصالحة ، فكثيرا مايفنون ثروتهم كلها في حياتهم فلا يتركون لاولادهم مايعيشون به كما اعتادوا فيكونون اشقى الناس. ونتيجة ماذكر انهم أعدى أعداء انفسهم والجناة عليها في دنياها وآخرتها

اننا بالتجوال في أوربة ورؤية مناظرها الجميلة والتمتع بهوائها المعتدل في فصل الصيف ووجدان جميع أسباب الراحة عرفنا تجربة ذوق واختبار عذر أغنيائنا في اقبالهم على الاصطياف فيها هربا من حر قطرهم وغباره ولكننا لا نرى لاحد منهم عذرا ما في انفاق شيء من ثروة الوطن في غير اثمان ما يتمتعون به من طيبات الرزق وأجور السكن والتنقل في البر والبحر ، الا أن يكون فيما فيه منفعة معنوية لهم أولامتهم ووطنهم في علم أو ثروة أو سياسة، فان في أوربة من ينابيع العلم ومصادر المعارف ومجال الاعمال السياسية ما ليس في مصر ولا في غيرها من البلاد ولكن لا يكاد يوجد فيها شيء من اللذات الجسدية لايوجد مثله في مصر، وسيأتي بيان ماتمتاز به في مكان آخر

الرحلة السورية الثانية

١٠

المؤتمر السوري العام

انتخب أعضاء هذا المؤتمر في أوائل سنة ١٩١٩ من جميع الولايات والمتصرفيات السورية في المناطق الثلاث التي قسمها الحلفاء اليها. وكان انتخابهم فيما عدا متصرفية جبل لبنان التي كانت مستقلة في ادارتها الداخلية على طريقة انتخاب مجلس المبعوثين العثماني بل انتخبهم المنتخبون الاولون الذين انتخبوا المبعوثين في الدورة الاخيرة ، وأما جبل لبنان الذي لم يكن ينتخب منه أعضاء لمجلس المبعوثين فقد انتخب من بعض بلاده — لا كلها — أعضاء للمؤتمر انتخبهم الوجهاء وشيوخ الصلح الذين ينتخبون أعضاء مجلس ادارة لبنان

وكان الغرض من تأليف هذا المؤتمر المنتخب بطريقة نيابية عن الشعب السوري كله أن يبين رأي الشعب السوري في مصير البلاد وشكل حكومتها وما يفرضه عليها دول الاحلاف من المساعدة . . . وقد اجتمع المؤتمر لاول

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مرة في دمشق عند مجيء اللجنة الامريكانية من أوربة في تلك السنة لاستفتاء الشعب السوري في ذلك . وخبر هذه اللجنة في تأليفها وامتناع دولتي فرنسة وانكلترة من الاشتراك فيها بعد أن كان قد تقرر جعلها مشتركة وطوافها مناطق البلاد واطلاعها على رأي جميع الطبقات والجماعات فيها بالمشافهة وقرار المؤتمر العام الذي قدمه لها في دمشق واجماع الرأي العام في هـذه المناطق كلها على طلب الاستقلال التام للبلاد كلها واتحادها ورفض كل مساعـدة تنافي هذا الاستقلال — كل ذلك معروف مشهور قد نشر في جميع الجرائد السورية في ذلك الوقت ونقلته عنها الجرائد العربية بمصر وأمريكة وغيرها ونوه به كثير من الجرائد الافرنجية في البلاد المختلفة وسبق له ذكر في المنار وليس هو مما يعنينا هنا وإنما الذي نريد أن نقوله هو أن الجماعات والافراد أولي الشأن الذين قابلوا اللجنة الامركية في جميع المناطق قد أيدوا المؤتمر السوري العام فكان ذلك من الشهادات المتواترة على ثقـة الشعب كله بالمؤتمر وكونه ينطق باسمه ويعبر عن رأيه

لاجل هذا قرر حزب الاستقلال العربي عند البحث في طريقة إعلان استقلال البلاد أن يكون المؤتمر السوري العام هو الذي يقوم به في العاصمة (دمشق) مستظهرا بعلمائها ورؤسائها الروحيين وكبار رجالها من جميع الطبقات والاحزاب — وأنه لاحاجة الى انتخاب جديد — كما اقترح بعضهم — وكذلك كان ، وقد نشرنا خبره مفصلا في وقته

ولما اجتمع المؤتمر وأعلن الاستقلال أيده الشعب في جميع المناطق السورية وصارت له بمظاهرة الشعب له صفة الجمعية الوطنية التأسيسية، وقد كان من رأي الامير فيصل أن ينفض بعـد إعلان الاستقلال وكاشف الذين كانوا يتولون مراجعته ومذاكرته في الامر من كبار أعضاء الحزب بذلك فلم يوافقه أحـد وكاد يصر لولا أن قيل له ان هذا الامر لا يمكن البت فيه الا بعـد اجتماع المؤتمر والاتفاق مع الاكثر من أعضائه وهم من حزبنا على ما يحسن في ذلك؛ ثم كثر البحث في ذلك بعد اجتماعه وقبل الاتفاق على وضع صيغة اعلان الاستقلال حتى تم الاتفاق على الصيغة التي وضعت في قرار المؤتمر التاريخي الذي أعلن به الاستقلال — وقد نشرناه في المجلد الحادي والعشرين من المنار (ص ٤٤١) — وهذا نصها بعد ذكر اختيار فيصل ملكا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

« وأعلنا انتهاء الحكومات الاحتلالية العسكرية الحاضرة في المناطق الثلاث على أن يقوم مقامها حكومة ملكية نيابية مسؤلة تجاه هذا المجلس (أي المؤتمر) في كل ما يتعلق بأساس استقلال البلاد التام الى أن تتمكن الحكومة من جمع مجلسها النيابي على أن تدار هذه البلاد على طريقة اللامركزية»

فان جعل الحكومة مسؤلة تجاه المجلس كان يراد وضعه مطلقا فلم يقبل الأمير فيصل بذلك وبعد المراجعة والاصغاء رضي بأن يكون ذلك مقيدا بما يتعلق بأساس استقلال البلاد التام ورضي اكثر الاعضاء بذلك

وبعد أن تألفت الحكومة وانتظمت جلسات المؤتمر اقترح بعض أعضائه وضع قرار بطلب تقديم الوزارة بيان خطتها للمؤتمر طلبا لاعتماده اياها من حيث هي حكومة نيابية بمقتضى قراره فقبل الاقتراح وتقرر بأغلبية كادت تكون اتفاقا

ولما بلغ رئيس الوزارة قرار المؤتمر عرضه على الملك فأنكره وأبى أن تجيب الوزارة الطلب حتى أقنعته بذلك بعد مناظرة حادة حضرها احسان بك الجابري رئيس أمنائه ـ وكان فيها ميالا لرأيي ـ وسمع بعضها الامير زيد

ذلك أني زرته صباحا كالعادة فذكر لي قرار المؤتمر وقال انه ليس له هذا الحق لانه ليس مجلسا نيابيا وانني أمرت الوزارة بعدم إجابة طلبه . فقلت له يا مولاي ان هذا الاقتراح عرض فجأة في المؤتمر ولم يبحث حزبنا فيه ولا علم به قبل عرضه، وانني لم اكن من المقرين له ولا المعارضين فيه لانني لا أزال مترددا في الترجيح بين كفاءة الوزارة وكفاءة المؤتمر وناظر اليهما بعين النقد والتجربة ، ولكن يجب أن ينفذ قرار المؤتمر بعد أن قرره وبلغه ولا يجوز رده البتة

قال انه لا حق في هذا الطلب لانه ليس مجلسا نيابيا — قلت بل له هذا الحق لانه أعظم سلطة من المجلس النيابي ، إنه جمعية وطنية تأسيسية،

قال انني أنا الذي أوجدته فلا أعطيه هذا الحق الذي يعرقل عمل الحكومة

قلت بل هو الذي أوجدك ، فقد كنت قائدا من قواد الحلفاء تحت قيادة الجنرال اللنبي فجعلك ملكا لسورية . نعم ان لك فضلا بالسماح بجمعه اذ كنت تحكم هذه البلاد حكومة عسكرية باسم الحلفاء — أما وقد اجتمع باسم الامة وهي صاحبة السلطان الاعلى بمقتضى اصول الشرع الاسلامي الذي تدين الله به وبمقتضى جميع أصول القوانين العصرية الراقية ، وقد اشترط في تأسيسه لهذه الحكومة التي اختارك ملكا لها أن تكون مسؤلة تجاهه في كل ما يتعلق بأساس

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الاستقلال ، وبرنامج الوزارة السياسي يتعلق بأساس الاستقلال مباشرة وبرنامجها الاداري يتعلق بحفظ الاستقلال بالتبع أيضاً. فأرجو أن لاتحدث لنا أزمة في أول طريقنا . وما نخشاه من عرقلة الحكومة بتدخل المؤتمر وسيطرته عليها فأمره سهل، فان اكثرية المجلس من حزبنا وأعضاء الوزارة من حزبنا أيضاً ونحن نضمن التوفيق بينهما وعدم فتح هذا الباب الآن . وبعد التأمل في هذا الكلام الذي يعتقد اخلاص قائله وصدقه وعلمه بأن المؤتمر لايسكت عن تنفيذ قراره رضي ، ثم قدمت الوزارة بيانها على الوجه الذي يتفق مع رأي الحزب ونالت الاعتماد المطلوب ثم كان من أمرها بعد ذلك ما ذكرناه من قبل

والغرض من ذكر هذه الحادثة بيان صفة المؤتمر لا التعريض بميل الملك فيصل الى الاستبداد، بل أقول إنني كنت أخاف ما يخاف هو من تحكم المؤتمر في الحكومة وعرقلته لاعمالها وهي في طور التكون ، فان استبداد الجماعة قد يكون أشد ضررا من استبداد الافراد، والشواهد على هذا معروفة في التاريخ القديم والحديث، وحسبنا من الحديث استبداد الاتحاديين بالحكومة العثمانية الذي أدى الى هدم سلطنتها (أمبراطوريتها) العظيمة . وحب الاستبداد فطري في نفوس البشر خيارهم وشرارهم ، وربما كان بعض الاخيار أمضى فيه وأثبت قدما من غيرهم، لعذرهم أنفسهم فيه بما يجدون فيها من حسن النية ، والشرير قد يلوم نفسه عليه اذا كان فيه بقية من الخير ، ولا يصرف الناس عن الاستبداد الا التقيد بشرع أو قانون وراءه قوة تحافظ على تنفيذه وتراقب المنفذين له، وهذا معروف لا يحتاج الى شرح ، ولما كانت مراقبة الملوك وايقافهم عند حدود الشرائع والقوانين مع الاعتراف لهم بالسلطة العليا من أشق الامور بل تكاد تكون متعذرة — سلبت الامم الراقية السلطتين منهم وجعلتهما للمجالس النيابية وجماعة الوزراء ... قلت مرة لمستر متشل إنس وكيل المالية بمصر في عهد كرومر انكم قد ظلمتم الخديو وقيدتم سلطته حتى لم تتركوا له من النفوذ الفعلي في الحكومة شيئا . فقال لكننا تركنا له جميع مظاهر الملك وعظمته وهل تريد أن نعطيه ما ليس لملكنا مثله فيستبد في الاعمال ، فوالله لو أن ملكنا استطاع أن يستبد في أمر من الامور في يومه لما أخره الى الغد .

ومعقول ان يكون الملك فيصل أجدر من غيره بحب الاستبداد وقد صرح بأنه ندم أن لم يكن استبد في سورية ولكن من غرائزه وأخلاقه مايصده عنه اذا كان طريقه غير معبد له، وآية لي على ذلك أنه سمع مني ما ذكرت من معارضته فرجع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الى قولي ، ولم ينقص ذلك شيئا من مودته واحترامه لي ، ولو كان الاستبداد واسخافيه كرسوخه في كثير ممن نعرف من الامراء وكان قوي الشكيمة فيسه لما استطعت معاشرته والعمل معه بعد ذلك ، ولكان حقد علي بهذه المعارضة وكاد لي كيدا ، اذا لم يستطع ايذائي جهرا ، على أنه رأى مني بعد ذلك معارضة اشد وأخشن ولم يكن ذلك بصارف له عن مكاشفتي عند توديعه ليلة خروجه من دمشق بأعمق اسراره التي اكد لي انه لم يذكرها لاخيه كما ذكرت ذلك من قبل ولعله لولا يقينه الصحيح باخلاصي للامة وله وانني ليس لي ادنى هوى نفسي في ذلك — لما بقيت لي عنده هذه المودة ، وقلما تجد هذا عند غيره من الملوك والامراء ، بل عند الافراد والنظراء ، بل عند من دونهم ؟ ونعود بعد هذا الاستطراد الى الكلام عن المؤتمر

المؤتمر والحكومة في سورية

قلت إنني كنت أخاف ما يخاف الملك فيصل من تحكم المؤتمر في الحكومة وعرقلته لاعمالها ، وانني كنت اراقب كلا منهما مراقبة المختبر الشاك في كفاءة الفريقين وفي الترجيح بينهما ، وقد تكون وجهة النظر عندي في ذلك مخالفة لوجهة النظر عند الملك فيصل ، وقد بينت بالاجمال ما ظهر لي من كفاءة الحكومة والانتقاد عليها بالاعتدال البريء من التحامل والمحاباة

وأما المؤتمر فقد ظهر أنه ليس أدنى من المستوى الذي فيه الشعب بل هو مثال مطابق له ، فقد كان الرأي العام فيه في مسألة الاستقلال التام الناجز ورفض كل سيطرة أجنبية هو رأي الشعب بعينه ، بل لم يكن فيه أدنى مظهر للفئة القليلة في الامة التي تميل الى قبول الوصاية الاجنبية الموقتة — وهل لدى الدول الطامحة الى ذلك سيطرة موقتة الا عند العجز عن الدائمة ؟ — وقد يلطفونها بتسميتها مساعدة ، نعم قد اتهم أفراد من الاعضاء بأنهم من الحزب الوطني الذي ألفه بعض الاغنياء . ولكن بعض وزراء الحكومة على قلتهم كانوا يصرحون لبعض الناس بأن رأيهم قبول الوصاية ومنهم ساطع بك الحصري وزير المعارف الذي كان أحد رسل الملك فيصل الى الجنرال غورو وعلاء الدين الدروبي قتيل خربة الغزالة وتقدم ذكر ذلك . بل كانت وطأة المؤتمر شديدة في مقاومة الانتداب في كل من سورية الجنوبية والشمالية ولم يكن هذا محل خلاف بين حزبيه ولا بين أحد من أفرادهما

وكان فيه العدد الكافي من دارسي علم الحقوق واصول القوانين ومن ذوي الالمام بالشريعة الاسلامية ومن الاذكياء المتعلمين في مدارس الدولة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

العثمانية أو بعض المدارس الاجنبية فكان بذلك كفؤا لوضع القانون الاساسي للبلاد وأهلا لوضع غيرها من القوانين أو تنقيح القوانين العثمانية .

وكان فيه طائفة من المحافظين على القديم من أمور الامة وتقاليدها وطائفة من المولعين بالجديد الاوروبي وطائفة من المعتدلين بين جمود اولئك وخفة هؤلاء ، ومن المولعين بالجديد من يودون السير من وراء حدود الدين وان يستظهروا في ذلك بالقانون بل قاوم كثيرون منهم تقييد الحرية الشخصية بشرط المحافظة على الآداب العامة وكان رأي بعضهم أنه شرط لاحاجة اليه لئلا يتوسل به الى منع السكر في المقاهي والملاهي واختلاط النساء بالرجال فيها، ورأي آخرين أنه شرط حسن ولكن لاينبغي ذكره في القانون الاساسي فكان رأي الفريقين أفلج فرجح على رأي المخالفين لهم لان أكثر هؤلاء كان ضعيف الفهم قليل الحزم

أشرت آنفا الى انه كان في المؤتمر حزبان ، وهما حزب التقدم الذي يمثل حزب الاستقلال العربي وجمعيته وحزب الاعتدال، ثم انفرد أفراد سموا أنفسهم حزب الاستقلال — أي الاستقلال في الرأي — ولكن الذين لا يتقيدون ببرنامج حزب يؤيدون رأي الاكثر من أفراده اذا قرروه لايمكن أن يؤلفوا حزبا من أنفسهم . ولو أمكن أن يكون هؤلاء حزبا لكنت منهم قبل أن أكون رئيس المؤتمر فاني من أشد الناس استمساكا باستقلالي فيما أراه هو الصواب ، ولكن لم يكن لي مندوحة عن الاشتراك في تأليف حزب التقدم الذي يمثل الجماعة التي أنا مرتبط بمذهبها السياسي وهو استقلال البلاد العربية وقد انتخبت رئيساً لهذا الحزب عند تأسيسه ، وكنت أستعين به على تنفيذ رأيي في المسائل الخلافية في اجتماعاته الخاصة فان لم يتيسر لي اقناع الاكثرين في بعض المسائل ولم يتيسر لهم اقناعي فاني أنفذ قرارهم عملا بالنظام ولكنني لا أنصره بالاحتجاج له والدفاع عنه على منبر المؤتمر ولا في مناقشة الافراد ، بل كنت أصرح لهم بما أعتقد انه الصواب ، وأقول هذا رأيي وذاك قرار الحزب . وقد استطعت بما لي من المكانة الشخصية عند الاخوان أن أقنعهم بارجاء البت في بعض المسائل الخلافية الى أجل ساعدتنا فيه الايام على الاتفاق فيها

ولقد دعيت الى المساعدة على تأليف الحزب الآخر عند الشروع فيه على أن أكون رئيسا له فلم أقبل ، وقد كان الداعي الاول الى تأليفه كتب أسماء

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أكثر الذين لا ينتمون الى حزب الاستقلال العربي ليدعوهم الى تأليف حزب مخالف له في المؤتمر لئلا ينفرد بالنفوذ فيه كما انفرد بالنفوذ في الحكومة وفي بلاط الملك، على أن يتفاهموا ليكونن إلباً واحداً وكلمة واحدة على كل ما يقررونه فيما بينهم لا يشذ أحد عن رفع صوته به ، ولم أكن أعرف لهم رأياً جامعاً غير ما ذكرت وهو ما يتعذر عليّ على أنه قد دخل في حزبهم بعض أعضاء جماعتنا برضى من حزبها بقصد الاصلاح وتفادياً من توسيع مسافة الخلاف ، وقد كان أفراد هذا الحزب وهم الاقلون عدداً أكثر اتفاقاً وتناصراً من الآخرين وهم الاكثرون عددا وعلما الا في المسائل المهمة ومنهم أكثر أهل العلم والرأي والخطباء

سيرتي في المؤتمر

ولما صرت رئيساً للمؤتمر وجب على أن أساوي بين الحزبين في كل شيء يتعلق به وفي احترام أفرادهما حتى في خارجه وإعطاء كل ذي حق حقه، وإيتاء كل ذي فضل فضله ، بل تركت رئاسة حزب التقدم مع المحافظة على نصر الجماعة التي ينتمي اليها ، وقد كان الذين استاؤا من تشديدي عليهم في حفظ نظام الجلسات أو في المنع في بعض الاحيان من الكلام والخطابة أكثرهم من أفراد جماعتنا وأقلهم من الحزب الآخر ، بل ربما كان أكثرهم من أصدقائي وما كلهم من أفراد جماعتنا ولا كل أفراد جماعتنا منهم ، ومن العادات الراسخة في نفسي أن اشتد مع الاصدقاء أيهم اشد حباً واخلاصاً في الصداقة مالا أشتد مع غيرهم في الاقناع بالحق والمطالبة بالوقوف عنده ، لانهم أقرب الي حسن الظن ، وأبعد عن الظنة (التهمة) التي قد تبعث على مكابرة الحق ، وكم أغضب عليّ هذا الخلق من صديق ساءني إغضابه ، وسرني استعتابه ، وكم وجه الي من عتب محب لم يتعذر عليّ إعتابه ، وربما فاتني من ذلك ما أجهله او أعذر نفسي بحسن النية فيه وان لم تعلم . وقد اتهمني بعض من صاحبت ووادت من أعضاء المؤتمر وغيرهم بالمحاباة في تنفيذ وظيفة الرئاسة فيهم ، وكانت هذه التهمة باطلة ، فوايم الحق، انني كنت دائما محافظا على تحري الحق والعدل ، ولكنني لا أبرىء نفسي من التساهل أحياناً مداراة لبعض شديدي الانفعال والغضب أو محبي المشاغبة كراهة أن تكسر فتسوء سمعة المؤتمر، ومنهم من أغراه ذلك باللجاج بالتمادي حتى اضطررت الى ما كنت أكره من الانذار وراء الانذار ، الذي لا يبيح القانون فيه للرئيس اخراج المنذر من الجلسة بقوة الشرطة (للكلام بقية)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مصابنا بشقيقنا

السيد صالح محمد رضا

الامر لله . ولا حول ولا قوة الا بالله . انا لله وانا اليه راجعون . ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين

في اليوم الثالث عشر من شهر رمضان رزئنا بوفاة شقيقنا وتربنا ورفيق حياتنا وأخلص الرجال لنا السيد صالح آل رضا تغمده الله برحمته ورضوانه بعد أن أصيب بألم في الحنجرة كان عرضه الاول بحة في الصوت صبر عليها بضعة أشهر لم يعرض نفسه فيها على طبيب . وكان يظن كما نظن أنه عرض لا يلبث أن يزول ، ثم الفيناه يزداد بالتدريج البطيء وكنت أنصح له باستشارة الاطباء فيه والعناية بما يصفون من معالجته ، وكان يتهاون بذلك كدأبه ، وهو من أشد الناس صبراً وجلداً واحتمالا للآلام . ثم اشتد عليه الالم وضيق النفس فعرض نفسه على عدة أطباء من المصريين واليهود والافرنج فاختلف رأيهم أولا ثم ظهر ان المرض ورم سرطاني واختلف القائلون بهذا في استئصاله هل هو خطر على الحياة أم لا ، فكان ذلك سبباً لتردده في العملية الجراحية الى أن ضعف بدنه بقلة الغذاء اذ كان يشق عليه ازدراد الطعام حتى انه ليألم من شرب الماء واللبن وحينئذ رضي بأن تعمل له العملية الجراحية واخترنا لها الطبيب الاخصائي الشهير الدكتور حسن بك شاهين ولكنه أبى أن يعملها لجزمه بأن البنية لم تعد تحتمل ذلك واكتفى بأن فتح له ثغرة في نحره لاجل التنفس وقال انه قد يعيش في هذه الحالة عدة أشهر ممتعاً ببعض الراحة ، ولكن أجله المحتوم لم يكن قد بقي منه الا أيام معدودة لا تبلغ الاسبوع فتوفاه الله تعالى وهو في أحسن حال كان عليها من الايمان به والتوجه اليه واخلاص العبادة له حتى انه كان يصلي الصلوات في سريره قاعدا ، فكان هذا مع العلم بأنه لم يعد له راحة في الحياة مع هذا الداء العضال أكبر المعزيات لنا في مصابنا به

تعلمه وتربيته :

كان رحمه الله نادر الذكاء سريع الفهم سريع الحفظ بطيء النسيان . تلقى مبادىء التعليم الاولى في بلدنا القلمون على أحد شيوخها فلم يكد يحذق حروف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المجاء وتركيب الكلم حتى صار يقرأ كل ما أقرأه بسرعة عجيبة فهما يطل الدرس الذي يلقنه اياه الاستاذ يعيده بعد اقرائه اياه مرة واحدة فلو شاء أن يقرئه كل يوم جزءا كاملا من القرآن لفعل ، فكان يفوقنا كلنا في ذلك . ثم طلب العلم في طرابلس فكان محل إعجاب شيوخه بذكائه وفهمه فتلقى من الفنون العربية والعلوم الشرعية ماكان يظهر قليله من فضله مالا يظهر اضعافه في تحصيل غيره، وقرأ كثيراً من كتب التربية والتعليم فكان ذا رأي وذوق في هذا الفن، وطالع كثيرا من كتب الادب والتاريخ وكتب الديانة المسيحية فحفظ من ذلك كله ماكان به خير نديم وسمير ، وكان معاشروه في سورية ثم في مصر يعجبون من سعة حفظه وحسن اختياره فيه وسرعة استحضاره له وحسن القائه اياه، ويستغرب النصارى منهم كثرة مايحفظه من كتبهم ويعرفه من تقاليدهم الدينية على اختلاف مذاهبهم ، وكان يجيد الكتابة نثرا ونظما ولكنه كان كسولا قلما يمسك القلم بيده وله مقالات قليلة وتقاريظ لبعض المطبوعات في المنار استتبع بعضها ترجمة صديقه الشيخ طاهر الجزائري رحمهما الله تعالى ترجمة انتقادية دقيقة غير مألوفة في هذا العصر فانتقدها بعض أدباء دمشق على اعترافه بأنها حق ، شرع في وضع تفسير لمفردات القرآن الكريم ولكنه لم يكتب منه الا وريقات قليلة. وفي ضبط ديوان من الشعر وشرح لغريبه لاجل طبعه ولم يتم منه شيئا يذكر وقد كان عين مديرا لبعض المدارس الابتدائية التي أنشئت بأمر السلطان عبد الحميد وتفقته لمسلمي لبنان — وهي مدرسة الكورة — فسلك في تربية تلاميذها وتعليمهم مسلكا حسناً نافعاً . وقد أوذي من اضطهاد حكومة طرابلس لاهل بيتنا في العهد الحميدي أشد مما أوذي غيره فكان ذلك مبغضا له في تلك البلاد ومرغباً له في الهجرة الى مصر، فلما سنحت الفرصة لحق بي فيها

آراؤه وأخلاقه :

وكان مستقل الفكر في الدين والآداب وكل ماللرأي فيه مجال، قليل المبالاة بكل شؤون الحياة، يأكل ماوجد متى جاع لاينتظر ماهو أطيب منه ، وينام حيث نعس من ليل او نهار ، سواء كان في الحقول والبساتين او الاندية والسمار ، ويتأنق في اللباس تارة ويتبذل أخرى غير حريص على ان يلقي الناس متزينا، ولا خجل من أن يروه متبذلا، ولا مبال ان يرتاض في عذق الارض او قطع الشجر متأنقاً، سخي النفس ربما يجود بكل ما في يده على من

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يراه محتاجاً اليه ويؤثره على نفسه وان لم تكن حاجته فوق حاجته ، شديد الرحمة لمن يراه محلالها وشديد القسوة اذا غضب، وقد يعود فيسترضي من يعاقبه اذا اعتقد انه ظلم، راقب مرة لصاً كان يسرق الليمون من بستان لنا حتى اذا ظفر به وهو يسرق ضربه ضرباً مبرحا وأخذ منه مقدار ثمن ماسرق من قبل كما قدره، ولكنه خاف أن يكون مخطئاً في التقدير أو يكون قد سبقه لص آخر فبلي من اللص ماوجده بيده بالثمن الذي تقاضاه منه، وحمله على إحلاله والسماح عنه، وله نوادر من مثل هذه الفتوى او الحيلة الشرعية فيما يرضي به اعتقاده وهواه معاً كنت أخطئه في بعضه

وكان فخورا بنسبه وبمناقب آل البيت الطاهرين من أجداده ويتشيع لهم ويبغض بني أمية الذين ظلموهم وآذوهم وهضموا حقوقهم ، وهو على هذا يجل الشيخين ويبرئهما من كل ما رماهما به الرافضة وما رموا به جمهور الصحابة رضوان الله عليهم ويعلم أن هذا قد كان بتأثير دعوة المجوس أعداء الاسلام والعرب ، وقد كان في هذا الفخر والتشيع كالمرحوم الوالد بل يفوقه فيهما ، وليس في أسرتنا من يضارعهما في ذلك

ولاهتمامه بأمر النسب والتاريخ عني بالبحث عن الدخلاء في بلدنا القلمون وهم من غير السلالة الطاهرة فعرفهم بيتاً بيتاً وفرداً وفرداً فكان يميز بين أهلها الاصليين وكلهم من السادة الشرفاء وبين الدخلاء فيهم . وليس هذه العناية لاجل ضبط أفراد أسرتنا فانهم معروفون لايجهل أحد من الاهالي أحداً منهم لقلتهم وامتيازهم على سائر البيوت بالعلم والارشاد ، وان ترك أكثرهم ذلك في هذه السنين الاخيرة . وكان يعرف من تاريخ لبنان الحديث مالا يعرف الا القليل من أهله تلقى ذلك من أفواه الشيوخ الذين كان يلقاهم في دارنا أو في قرى الكورة وغيرها

وأما ماكان بيني وبينه من الصلة والمحبة والعشرة فهو ما يقل نظيره بين اخوين ، ولقد كان أقدر على بيانه مني لو كتبه ، كنا نعيش معاً ،وكنت أكثر منه اشتغالا بالعلم والعبادة وكان لذلك يجلني كاجلاله لوالده واساتذته بل أشد لانه إجلال اعتقاد روحي ومحبة أخوية ، وعشرة لازقة كنا في سن المراهقة نقضي بعض أيام رمضان في كرم لنا على مسافة ميلين عن القرية فكنت أصرف كل النهار في قراءة القرآن والصلاة ، وكان لايصلي معي الا الرواتب بل يلح

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

علي بأن ألعب معه فلا أفعل، فاذا أطلت الصلاة قام أمامي فيها يبني لي محراباً. وكنت في بعض الايام أقرأ القرآن كله فان قرأت نصفه عاتبت نفسي على التقصير. كان يذكرني بهذا ويذكره لغيري يقول: كنت اعتقد ان أخي نبي من الانبياء، فلما كبرت وعلمت ان النبوة قد ختمت بنبينا (ص) صرت أعتقد انه ولي من أعظم الاولياء. ولما فقته في التحصيل حضر علي بعض الكتب في الفنون وكان يحضر دروسي الدينية في المسجد متعلما ويعدني أخا وأستاذا، وما زال يكرهني في الاعياد وعند التلاقي بعد سفر على السماح له بتقبيل يدي على علمه بكراهتي لذلك فان تعودنا على تقبيل أيدينا من الصغر لم تجعله محببا عندي في الصغر ولا في الكبر

وكنت أقول انني لاأعرف أحداً يحبني كحب أخي السيد صالح الا أن تكون الوالدة. واما انا فظالما إنني لم أشعر قط بأني كنت أملك في الدنيا شيئا من دونه، ولعلمه بذلك كان يتصرف بكل ماهو لي تصرف المالك حتى انه يهب ويهدي ويتصدق ولا يرى انه في حاجة الى إعلام ولا استشارة. ولم أحفظ شيئاً مما علمته من ذلك الا أن صديقا لي كان قد أهدى الي شيئاً مما يحفظ للذكرى فتفقدته مرة فلم أجده فسألت عنه فعلمت انه أهداه الى صاحب له

نعم اننا كنا شقيقين صديقين بلغت عواطف الاخوة والصداقة والاخلاص بيننا الغاية التي لانعرفها عن غيرنا، وكان أشد مني عاطفة لانه عصبي المزاج وأنا معتدل، لا اخلاصا ولا قياما بالحقوق. ولولا المزاج لكان الاصل في عاطفة الاخوة وأنسها المساواة اذا كانت التربية واحدة. وقد قلت في بيان حكمة محرمات النكاح من التفسير ان أنس أحد الاخوين بالآخر أنس مساواة لايضاهيه انس آخر اذ لا يوجد بين البشر صلة اخرى فيها هذا النوع من المساواة الكاملة، وعواطف الود والثقة المتبادلة الخ

وقد تزوج رحمه الله وغفر له في أول سن الشباب ولم يكن مغتبطاً بالزواج وقد توفيت زوجته وهي من شرائف القلمون بعد أن ولدت له غلاما وجارية وكان شديد الحب لهما والحدب عليهما حتى كاد يخرج بذلك عن سنن أشد الوالدات عطفا وعاطفة، وقد زوج ابنته بمصر من رجل فاضل كريم ولها أولاد جعلهم قرة عين لها ولوالدهم. وولده السيد محيي الدين تربى في دار الدعوة والارشاد وهو كاتب أديب مقيم بمصر ويراسل بعض الجرائد في أقطار أخرى وفقه الله تعالى ورحم والده فقيدنا الكريم رحمة واسعة وجعلنا جميعا مع السيدة الوالدة من الصابرين المأجورين.